التحرر من الأفكار الخاطئة

جي هنريك أرنولد

حرية من الأفكار الخاطئة

المـــــؤلــــــف: جى هينرك أرنولد
الـــنــــاشــــر: P. T. W ت: ٦٦٧٨٩٨٠ - ٦٦٧٨٩٨١
ص. ب ٩٥٦٧ قرية الطفل
المـــتـــرجـــم: داليــا وهـــيب
الجمع التصويرى: J C Center سفير
المـــطـــبـــعـــة:
رقـــم الإيــــداع:
الترقيـم الـدولـى:

جميع حقوق الطبع فى اللغة العربية محفوظة للناشر وحده،
ولا يجوز استخدام أو إقتباس أى جزء أو رسومات توضيحية من الواردة
فى هذا الكتاب بأى شكل من الأشكال بدون إذن مسبق منه.

FREEDOM FROM SINFUL THOUGHTS

Arabic

Printing 1, Copies 3,000

Prepare The Way
www.ptwegypt.com

«إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب.
من آمن بي تجري من بطنه أنهار ماء حي»

يسوع الناصرى

إلى القارئ

جوان كريستوفر آرنولد

رغم مرور أربعة وعشرين عاماً على نشر أول كتاب لأبي بعنوان «حرية من الأفكار الخاطئة»، فإني أتذكر هذه المناسبة جيداً، فقد عمل في هذا الكتاب لشهور طويلة بمحبة، وبذل فيه جهداً كبيراً وأولاه كثير من التفكير، وذلك رغم أنه كتاب صغير. كنت وقتها أخدم معه بالفعل منذ عامين، ولكن مشروع تجميع الكتاب معاً ساعد على تقوية علاقتنا على نحو رائع.

بدا أن أبي يهتم اهتماماً خاصاً بقضايا معينة وهي المهمة الرعوية المتعلقة بالمشورة، والتعزية وتشجيع أعضاء المجتمع الذين يمرون بأوقات عصيبة أو صراعات. لذا، كان كتاب «حرية من الأفكار الخاطئة» كتاباً لا بد منه في رأيه، فقد رأى كثيرين أدى بهم الصراع إلى إحباط أو يأس، وأراد أن يشارك باقتناعه بأن هناك مخرجاً.

قبل ظهور الكتاب مطبوعاً وجد صدى واسع بين القراء، إذ عقد أبي سلسلة من اللقاءات التي تناولت الصراع للحصول على قلب نقي مستخدماً نصوص الكتاب قبل اكتمالها. وكان تجاوب الناس مذهلاً، فانهمرت الخطابات، وأصبح واضحاً أنه رغم أن هذا لم يكن موضوع حديث، فإنه يشغل كثيرين لا من المؤمنين الشباب أو الجدد فقط بل من المؤمنين المكرسين الناضجين أيضاً.

بمجرد نشر الكتاب ازداد سيل الرسائل، إذ كتب غرباء ونزلاء سجون لأبي يخبرونه كيف أن الكتاب كان نقطة تحول في حياتهم أو أنه أعطاهم دفعة شجاعة جديدة، فقد قال أكثر من شخص إن قراءة هذا الكتاب جعلتهم يتخلون عن فكرة الانتحار، وبيع هذا الكتاب دون دعاية سنة تلو الأخرى.

توفى أبي في عام ١٩٨٢، وفي السنوات التالية خرج الكثير من المواد غير المطبوعة إلى النور وأصبح من السهل الحصول عليها كالشرائط، والملاحظات والعناوين والخطابات. لم يتعرف القراء الذين قرأوا الطبعة الأولى من هذا الكتاب عليه بسبب إعادة تنظيم المادة الأصلية وإضافة بعض الأجزاء بقصد التوضيح. كانت الفكرة الأساسية في هذا الكتاب هي تأكيد أبي على أن المسيح يريح من الصراع ويشفي

من جروح الشر، ويحرر من أسر الخطية، وهو لا يتغير أبداً.

يشتمل كتاب «حرية من الأفكار الخاطئة» على رؤية واضحة للصراع الحساس والعام بلغة بسيطة حتى يفهمها الجميع، والأهم من هذا أنه يتمسك بوعد الحياة الجديدة للقراء الذين تعاق صلواتهم بسبب أنانيتهم أو خطاياهم المستترة أو مشاعر الذنب أو الخوف، مما يحرمهم من محبة الله ومحبة أقربائهم بقلب حر. وهكذا، في عالم يلفه الظلام القادر على إصابة المرء بالاكتئاب يحمل هذا الكتاب رسالة فرح ورجاء.

ريفتون، نيويورك

أغسطس ١٩٩٧

المحتويات

للقارئ ٣

تقديم ٨

١ـ الصراع ١٣

٢ـ التجربة ١٧

٣ـ الخطية المتعمدة ٢١

٤ـ الإرادة ٢٥

٥ـ قوة الإيحاء ٢٩

٦ـ الإيحاء الذاتي ٣٣

٧ـ الأسْر ٣٧

٨ـ الكبت ٤١

٩ـ الإيمان ٤٥

١٠ـ تسليم الذات ٤٩

١١ـ الاعتراف ٥٣

١٢ـ الصلاة ٥٧

١٣ـ الانفصال ٦١

١٤ـ التوبة والولادة الجديدة ٦٧

١٥ـ الشفاء ٧٣

١٦ـ التنقية ٧٩

١٧ـ الصليب ٨٥

١٨ـ الحياة لأجل الملكوت ٨٩

تقـديـم

تحفل التقاليد المسيحية بالحكمة المتعلقة بالتعامل مع الأفكار والمشاعر، ويعد كتاب جي هنريك أرنولد «حرية من الأفكار الخاطئة» مثالاً رائعاً لهذه الحكمة. يواجه أرنولد حقائق تجربة الصراع والخطية من خلال خلفيته العامة، بأسلوب يختلف عن أسلوب القديس أوغسطينوس في الغرب، والرهبان في الشرق، فأفكاره أمينة وواقعية إلى جانب أنها مؤيدة بإيمان راسخ بقوة الروح للتجديد والتغيير.

فهويتنا تتحدد وفقاً لما نفكر فيه، لهذا يجب ألا نقوض مما نسمح بدخوله لأذهاننا. تشن الأرواح الشريرة حرباً خفية على النفس بواسطة الأفكار، وهكذا يحذرنا الأسقف ماكسيوس من القرن الخامس: «كما أنه من السهل أن نخطئ بالفكر أكثر من الفعل، فإن حرب التخيلات

الفكرية المليئة بالمؤثرات الحسية أصعب من الحرب ضد الأشياء نفسها».

يقول الرب يسوع: «لأَنْ مِنَ الْقَلْبِ تَخْرُجُ أَفْكَارٌ شِرِّيرَةٌ»، ويقول أيضاً: لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضاً». نحن وكثيرون، بما فيهم من يزعمون أنهم مؤمنون، يعتبرون أن أفكارهم أو تخيلاتهم كنوزهم، فلا يريدون أن يخطئوا ولا يريدون التخلي عن تخيلاتهم الخاصة أيضاً. ولكن في حياتنا الفكرية إما أن ننتصر في الحرب بين الخير والشر أو نُهزم. هذا ما أدركه الرسول بولس وكتب: «بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة» (رومية ١٢: ١، ٢). يرى الرسول بولس أن التغيير في أفعالنا يبدأ بتغيير أفكارنا، وهذه هي الحرية من الأفكار الخاطئة والسمو نحو الحرية في المسيح.

لابد أننا سنلاحظ اهتمام أرنولد بالأفكار الخاطئة في هذا السياق الأعظم المتعلق بالتغيير، فكتابه هذا ليس مجرد اهتمام كئيب بتصورات وأفكار غير مرغوب فيها، ولكن كما يؤكد لنا أرنولد فإن أفكار التجربة ليست خطية في حد ذاتها، ولكن الأسلوب الذي نتعامل به مع هذه الأفكار هو المهم، يقول الرب يسوع: «الشهوة إذا حبلت ولدت خطية».

وبالتالي فالسؤال هو: هل نغذي الأفكار الشريرة التي تطرأ على أذهاننا؟ وهل نتساهل معها، وهكذا نغذيها؟ أم علينا أن نتعامل معها كما لو كنا في حرب، ونجاهد إلى أن نتغلب على تلك الأفكار في المسيح؟

المسيح وحده يكسر لعنة الخطية، وهو الذي يعطي للصراع معنى، لأنه هو غاية كل صراعنا، ولهذا يكتب القديس أوغسطينوس: «دعونا نرنم هللويا هنا على الأرض... حتى في وسط التجارب والاختبارات والمحن.. لا لكي نتمتع بحياة الرغد ولكن لكي ينير لنا وسط التجربة» بالصلاة لله في وسط التجربة سنتحرر من الثقل الذي تشعر به نفوسنا.

أخيراً، فإن صراعنا هذا صراع مبهج، حتى عندما نسقط فلنا ثقة أن محبة الله أعظم من قلوبنا وأفكارنا. والأهم من هذا فإننا نستطيع كما يقول أرنولد أن ننال: «ثقة تامة في يسوع، لهذا فحتى لو لم نشعر بشئ بعد، فإننا نقدم أنفسنا بالكامل وبدون تحفظ بكل ما فينا وبكل ما نملك، وعندها سيعطينا الغفران والنقاء وسلام القلب، وهذا سيقودنا إلى محبة تفوق الوصف».

يعد التحرر من الأفكار الخاطئة عطية عظيمة من الله، وهي عطية

من عطايا محبة الله التي يمكن أن يختبرها كل قارئ بالتأمل في الحكمة المقدمة في هذا الكتاب، فبدونها نتخبط في إحباط، وبها نحن أعظم من منتصرين.

أيروكا سبرينجس، أركنساس

سبتمبر ١٩٩٧

١

الصـــراع

يهتم كل مؤمن بمشكلة الأفكار الخاطئة في فترة أو أخرى من فترات حياته، فهي عبء خاص على الرجل أو المرأة الذين يصابون بوباء المشاعر أو الصور غير المرغوب فيها بصورة متكررة، فتتجسد أمامه كل فكرة وإن كانت هذه الفكرة شريرة فهذه لعنة. أعرف أناساً يعانون من مشكلات في مجال الرغبات الشريرة أو الأفكار الشريرة فإنهم يفضلون الموت على أن يسمحوا لتلك الأفكار أن تكون حقيقية، ولكن يبدو أن هذا الحل لا يجنبهم الصراع، فيبدو الأمر كما لو أن تلك الفكرة تطاردهم. وقد تأخذ بعض هذه الأفكار صورة الحسد أو الحقد أو عدم الثقة، وبالنسبة لآخرين قد تأخذ شكل النزوات الجنسية وآخرين الكراهية أو التجديف على الله أو حتى القتل.

لا أعتقد أن شخصاً ما يستطيع أن يفسر ما يحدث في قلبه أو قلبها، فالله وحده يعرف حالة كل نفس، ولكننا نعرف أنه وفقاً للإنجيل فإن: «لأَنْ مِنَ الْقَلْبِ تَخْرُجُ أَفْكَارٌ شِرِّيرَةٌ» ، «طوبى للأنقياء القلب». تعد

هذه الكلمات البسيطة التي نطق بها الرب يسوع أساسية لفهم هذا الكتاب.

قدمت مشورة لرجال ونساء كثيرين يخشون الاعتراف بأنهم يصارعون مع تلك الأفكار غير المرغوب فيها، ويعتقدون أنهم الوحيدون الذين يتأثروا بهذه الأشياء. ولكن فعلياً نحن جميعاً لدينا طبيعة شريرة، فجميعنا استسلمنا للشيطان الذي هو ليس مجرد فكرة نظرية ولكنه قوى شر حقيقية تهاجم كل شخص في موضع ضعفه. وبمجرد أن يربح الشيطان مكاناً في قلوبنا فإن الشر الذي تأصل في القلب قد يقودنا إلى الكلمات والتي بدورها ستقودنا إلى أفعال.

سمعت تعليقات بغيضة عن اليهود حين كنت طفلاً يحيا في ألمانيا في العشرينات، وبصفة خاصة في جاستهوس القريبة من الطريق إلى منزل والديّ. نحى معظم الناس في القرية معاداة السامية جانباً ولكن أبي اعترض على هذا بعنف: «ربما يكون الأمر مجرد كلمات شريرة الآن ولكنه سيقود إلى أفعال شريرة، وفي يوم ما سيفعلون ما يقولونه»، وبالفعل هذا ما حدث.

تزعج الأفكار الشريرة بعض الناس كثيراً لدرجة أنهم يعيشون فيما لا يمكن أن يطلق عليه سوى عذاب. يجب أيضاً أن يثقوا أن الله يرى أعماق قلوبهم، وبالطبع يدرك الله أنه رغم تذبذب تخيلاتنا فإن قلبنا

الداخلي لا يريد أن تكون تلك الأفكار الشريرة عبئاً علينا. وإن كنا غير متأكدين فيمكننا أن نتعزى من كلمات الصوفي إيكهارت من القرن الثالث عشر الذي كتب: «يجب أن تتوق إلى الله حتى تظل مشتعلاً بمحبته، وإن كنت لا تشعر بهذا الشوق فلتشتاق إلى الشوق». كل اشتياق إلى النقاوة سواء كان جديداً أو غير واضح هو بداية لعمل الله في القلب.

بالطبع الفرق واضح بين الاستمتاع بالأفكار الشريرة عن عمد والصراع ضدها، فقد قدمت المشورة إلى أناس شعروا بأنهم مطاردون بتلك الأفكار أو الرغبات غير المرغوب فيها لدرجة أنهم قالوا لي إنهم مستعدون للدوران حول الكرة الأرضية إن استطاعوا لكي يتحرروا من تلك الأفكار الشريرة. إنهم يريدون أن يفعلوا أي شئ مقابل الحصول على سلام الذهن وقلب نقي.

مثل هذا التصميم شئ جيد ولكن من المهم أن ندرك في الوقت نفسه أنه لا يمكننا أن نحرر أنفسنا بقوتنا، فالصراع بين الخير والشر لا يقتصر على «الذهن»، ولكنه صراع كبير واسع بين الخطية التي يدعوها بولس: «أرى ناموساً آخر في أعضائي» وبين الروح. ولكي ننتصر في هذا الصراع لا بد وأن يكون هناك إيمان في يسوع الذي يعدنا بالنصرة. «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي».

لا يؤمن كثير من المسيحيين بحقيقة هذه الحرب ناهيك عن الإيمان بحقيقة وجود الشيطان، وبالتالي فإن هذا الكتاب عديم الجدوى بالنسبة لهم، ولكنه يستهدف هؤلاء الذين يعرفون الخطية والذين يسعون فعلاً لكي يتحرروا من ثقلها ويتوقون إلى نقاوة القلب.

«الأفكار الخاطئة» موضوع هذا الكتاب ليست فكرة جديدة أو موضة ولكني رأيت على مدار السنوات أنها شئ يصارع الناس معه. إذا نجح هذا الكتاب في مساعدة هؤلاء الذين يصارعون مع الأفكار الخاطئة إلى حرية الصليب فإنه بهذا يكون قد حقق هدفه.

٢
التجـــربة

أين تنتهي حدود التجربة وتبدأ الخطية؟ إن كنا نعاني أو نُجرب بأفكار شريرة فهذا في حد ذاته ليس خطية. على سبيل المثال إن جُربنا بأن نرد الإساءة لشخص أساء إلينا ولكننا وجدنا قوة لكي نغفر له فنحن بهذا لم نخطئ. ولكن إن رفضنا التغاضي عن الألم والجرح الذي أصابنا واحتفظنا بضغينة ضد المسيء فهذه خطية. وهكذا أيضاً إن كنا نحارَب بأفكار شهوة ولكن رفضناها فإننا بهذا لم نخطئ، وبالطبع فإن الأمر مختلف تماماً إن كنا نسعى بإرادتنا إلى تلك الأفكار، على سبيل المثال عن طريق شراء المجلات الإباحية.

يعتمد الأمر كله على ما نفعله عندما تصيبنا التجارب. كتب مارتن لوثر في إحدى المرات أن الأفكار الشريرة تحلق كطيور فوق رؤوسنا، لا يمكننا أن نمنعها من التحليق ولكن إن سمحنا لها أن تبني أعشاشاً على رؤوسنا، نصبح مسئولين عنها.

لن نتحرر تماماً من التجارب، بل يجب ألا نتوقع هذا مطلقاً، فالرب

يسوع نفسه تعرض للتجربة، وأتى الشيطان له في البرية على صورة ملاك واستخدم كلمات من الكتاب المقدس وبعد التجربة الثالثة تعرف عليه يسوع وقال: «اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد» وعندما أدرك الشيطان أن يسوع عرفه تركه وعندها جاءت ملائكة لتخدمه وتقدم له الطعام (متى ٤: ١٠ – ١١).

في وقت ما بدت لي فكرة تعرض يسوع لتجربة مثل إنسان عادي تجديفاً في نظري، ولكني لا أشك في أنه تعرض للتجربة ومع هذا لم يخطئ البتة، فهذا أمر مهم للغاية لا لحياتنا الشخصية وحسب، ولكن في أسلوب تعاملنا مع الآخرين الذين يصارعون صراعاً شديداً مع التجارب القاسية:

«فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية. لأنه حقاً ليس يمسك الملائكة بل يمسك نسل إبراهيم. من ثم كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شئ لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يكفر خطايا الشعب. لأنه في ما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين» (عبرانيين ٢: ١٤ – ١٨).

يولي كاتب الرسالة اهتماماً بالغاً بتوضيح هذه الحقيقة للقارئ، لهذا يكرر مرة أخرى في عب ٤: ١٥ «لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا بل مجرب في كل شئ مثلنا بلا خطية»

لم يخطئ يسوع البتة حتى في أصعب معارك حياته في جسثيماني، فلابد أنه اجتاز صراعاً لا يمكننا أن نتخيله مع قوى الظلمة وجيوش الأرواح الشريرة التي تحارب قلبه، ولكنه لم يتخل قط عن محبته لأبيه، وظل مطيعاً وأميناً.

سيظل الصراع ضد الظلمة في قلوبنا مستمراً طوال حياتنا؛ فهذه حقيقة مريرة. وهذا يعني أنه لا يمكننا أن نتغلب على مضايقات الشرير بقوتنا، فالأمر لا يتعلق بالأفكار والمشاعر والتخيلات وحسب ولكن بحروب تشنها قوى شريرة يصفها بولس بـ «الرؤساء والسلاطين وقوى الظلمة». يجب أن نصلي من أجل حماية الله دائماً، وعندما تأتي التجارب رغم صلواتنا فسيكون علينا أن نطلب حلاً لكل تجربة، ولهذا لا يوجد ما يجعلنا نيأس:

«لم تصبكم تجربة إلا بشرية. ولكن الله أمين الذي لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا» (١كورنثوس ١٠: ١٣)

لن يكون على أي واحد منا أن يمر في صراع بقسوة الصراع الذي اجتازه يسوع بدلاً عنا على الصليب؛ ففي هذا الصراع حمل يسوع الثقل الكامل لحالتنا بما في ذلك التجربة لكي يفدينا. إن التجربة ليست خطية.

٣
الخطية المتعمدة

الشعور بالعذاب بسبب فكرة أو خيالات نرفضها يختلف تماماً عن السعي لها بتعمد؛ فالذين يتعمدون مشاهدة أفلام العنف أو قراءة كتب إباحية من أجل المتعة التي تمنحها لهم ببساطة لا يصارعون في تجربة ولكنهم يخطئون. افترض فيما أكتبه أن القارئ لا يريد هذه الأشياء التي يعرف أنها شر!

عندما نتسلى برغبتنا في الأفكار الشريرة، فإننا نعبث مع قوى الظلمة التي ربما لا ندرك قوتها، فمن السهل ألا نبالي بهذه الفكرة، يقول أحدهم: «أنني بهذا لا أؤذي أحد، أليس كذلك؟» أو «الأمر كله في الأفكار..». ولكن هناك سبب وراء القول المأثور «الأفكار عملاقة» فهي تدفع بنفسها نحو الوجود الملموس، ولو كانت أفكار شريرة فستقودنا إلى أفعال شريرة، كما يكتب الرسول يعقوب «ولكن كل واحد يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته. ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية والخطية إذا كملت تنتج موتاً» (يعقوب ١: ١٤-١٥).

لا تحدث الإبادة الجماعية بين عشية وضحاها، فهي ثمر شر بدأ في الذهن. فعلى سبيل المثال سبق الهولوكوست قرون من الضغينة والتحامل بالإضافة إلى المذابح وأشكال الاضطهاد الأخرى. فأحداث الشغب التي اكتسحت أمريكا في الستينات كانت نتيجة للكراهية العنصرية التي استمرت لمئات السنين. وقد أظهرت دراسة تلو الأخرى العلاقة بين جرائم الجنس العنيفة التي اعترف المرء بارتكابها بعد مشاهدة تلك الأفلام، فأكثر ما تظهره تلك الجرائم أن الأفعال المشينة لها جذور في القلب والذهن.

أعرف ألماناً كانوا غير مؤذيين قبل ظهور النازي، وذلك في فترة الشباب أي كانوا أناساً عاديين لديهم شخصيات جيدة، ولكنهم وقعوا في براثن روح شرير وساقهم. ورغم هذا مات كثيرون معترضين على هذا الشر، والأغلبية استسلمت له برغبتها سواء بمشاركتها الفعالة في الإبادة الجماعية لليهود أو من خلال دعم هتلر بطرق أخرى حتى ولو كان هذا بالصمت غير المكترث، فليس الأمر متعلقاً بمجموعة قليلة من الرجال يحكمون أمة بل ملايين الناس الذين يخضعون برغبتهم لقوى الظلمة.

بالطبع تحدث الخطية المتعمدة على مستوى شخصي أكثر، ومن

المجالات التي أوليها اهتماماً خاصاً بصفتي راعياً هي السحر والذي كنت أراه بوضوح حتى في خدمتي في تقديم المشورة. عادة ما يُنظر إلى السحر على أنه علم آخر يمكن دراسته، ولكن الأشكال غير المضرة من الروحانيات وممارسة الخرافات مثل ارتداء الخواتم الطبية أو الدق على المناضد أو التحدث مع الموتى يمكن أن تربط الشخص بقوى شريرة حتى ولو كانت قد دخلت بطرق ملتوية. أؤمن بقوة أنه يجب أن نرفض تلك الأشياء بالكامل، فليس لها أي علاقة بإيمان الأطفال الذي تحدث عنه يسوع.

أعرف أن هناك من يدرسون الشر وآخرين يحاولون اكتشاف جذوره ويحاولون التوصل إلى أسرار الشيطان. يمكن أن نفهم هذا ولكن هل هذا من الله؟ يبدو لي أن الكثير من الرجال والنساء في مجتمعنا يثقلون كواهلهم بالفعل بما يعرفونه عن جرائم مثل القتل والفسق وخطايا أخرى.

يتساهل آخرون برغبتهم مع الشر باسم التجربة، فيحاولون أن يفهموا المجادلات المتعلقة بالشر: مدعين أنهم يرفضوا الظلام ولكنهم يجدون أنفسهم، بسبب اللهو، واقعين في براثنه أكثر مما يتخيلون.

طالما أننا نسمح لأنفسنا بأن ننفتح وطالما أننا نعطي الشر مكاناً ولو صغيراً في قلوبنا ولا نرفضه بالكامل، فلن نصبح أحراراً بالمرة وسيستمر

إبليس في ممارسة سلطانه علينا. لا أتحدث عن السحر هنا وحسب ولكن عن كل ما يتعارض مع الله مثل الغيرة والكراهية والشهوة والرغبة في التسلط على الناس والخطايا الأخرى. وطالما أننا نتعمد سرقة ولو أجزاء صغيرة من قلوبنا وإبعادها عن يد الله في حياتنا فسنحرم أنفسنا من الرحمة التي يقدمها الله لنا في شخص الرب يسوع.

بالطبع يجب أن نرأف بالنفس المنقسمة؛ فالرب يسوع نفسه يقول إنه «قصبة مرضوضة لا يقصف» أو «فتيلة مدخنة لا يطفئ». ولكني أعتقد أنه من الواضح أيضاً أنه لا يتسامح مع أي شئ يحزن الروح القدس. كان الرب يسوع وسيظل منتصراً على الشيطان وعلى الأرواح الشريرة ويطلب منا أن نخدمه بكل قلوبنا في حربنا ضد قوى الشر وضد هذه الخطايا.

٤
الإرادة

ما الذي يمكن أن نفعله لكي نبدد الشر الذي يخيم عيوننا الروحية أو نركز على محبة الله التي نبحث عنها في الصراع ضد التجربة؟ ربما يفوز الشخص ذو الإرادة القوية في حلبة الملاكمة أو في الشارع، ولكن في صراع القلب البشري ربما لا يكون للقوة أي علاقة بنتيجة الصراع.

من المستحيل أن تهزم الطبيعة الخاطئة بقوة الإرادة وحسب، لأن الإرادة ليست حرة بالكامل ولكنها مقيدة بطريقة أو بأخرى بسبب المشاعر المتصارعة والقوى الأخرى العاملة فيها. ففي الصراع الداخلي يصبح التشنج، أو كما يطلق عليه الفلاسفة الألمان «التوتر»، ومحاولة تطويع هذا الصراع أمرين غير مجديين بالمرة. في الواقع قد ينتهي بنا الأمر وقد ترسخ الفكر الشرير في أذهاننا أو ربما نندفع إلى نقطة يصبح فيها واقعاً. بمعنى آخر، يقول الطبيب النفسي الفرنسي السويسري تشارلز بدوين «عندما تفرض فكرة نفسها على الذهن، فإنك تبذل كل

الجهود الملموسة لكي تصدها ولا يحقق هذا النتيجة المرجوة بل ستتجه في الاتجاه الآخر وستزداد حدة إلحاح الفكرة وتكون النتيجة هي زيادة سيطرة تلك الفكرة على الذهن.

يكتب بولس وهو يعلم الكثير عن هذه المشكلة قائلاً:

«لأني لست أعرف ما أنا أفعله إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فإياه أفعل. فإن كنت أفعل ما لست أريده فإني أصادق الناموس أنه حسن. فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة في»

(رومية ٧: ١٥-١٧).

ربما يساعدك أن تميز بين الإرادة وأشواق القلب العميقة والضمير، فرغم أن رد فعل الإرادة تجاه التجربة هو محاولة كبح جماح الخيال والرغبة، فإن الضمير يوجهنا نحو نقاوة القلب الحقيقية، وهو مرشد في أعماق النفس حيث يسكن المسيح نفسه، وعندما يكون له اليد العليا فإنه يقدر أن ينتصر على أسوأ التجارب.

عند فحص الحرب بين تلك الإرادتين، يطرح السؤال التالي نفسه: من أين يأتي كل هذا الشر غير المرغوب فيه؟ والإجابة الوحيدة هي الاعتراف بأن الشر يأتي من قلوبنا (لا أعني إنكار أن الشرير يهاجمنا

ولكني أقصد أن أحذر من أن التركيز على دور الشيطان فقط يمكن أن يكون أمراً غير صحي على الإطلاق، فلا شك أن كلاً منا يجب أن يتحمل مسئولية أفكاره وأفعاله). عندئذ لن نجد صعوبة في فهم سبب عجزنا عن التغلب على الأفكار الشريرة بقوة إرادتنا، ومن ثم نعترف باتضاع بأنه لا يمكننا أن نطهر قلوبنا بقوتنا.

أؤكد هنا مرة أخرى أنه طالما أننا نحاول أن نغلب الشر بقوة الإرادة فإن الشرير سيسيطر علينا. يقول إميل كو وهو زميل دكتور بدوين: «عندما تتصارع الإرادة والخيال، فإن الخيال يكون له اليد العليا وهذا أمر ليس فيه استثناء». ولكن بمجرد أن نستمع إلى أشواق القلب الداخلية التي تصرخ للرب يسوع، سيتراجع الشر الذي في داخلنا. وإن وثقنا في هذه الإرادة العميقة وصلينا: «لتكن لا إرادتي بل إرادتك يا ربي يسوع، فإن نقاوتك أعظم من نجاستي، وكرمك يستطيع أن يغلب طمعي، ومحبتك تتغلب على كراهيتي» فبالتدريج سيتراجع الشر الذي نصارع معه.

يجب أن نؤمن بأن الرب يسوع يظل أميناً نحونا حتى لو كنا غير أمناء، وأنه ليس مخلص بعيد عنا يفرض علينا أموراً من أعلى، ولكنه إنسان كما كتب عنه بولس الرسول «مات على الصليب» عن ضعفات

البشر» لكي نحيا بقوة الله».

«لأنه وإن كان قد صلب من ضعف لكنه حي بقوة الله. فنحن أيضاً ضعفاء فيه لكننا سنحيا معه بقوة الله من جهتكم. جربوا أنفسكم هل أنتم في الإيمان. امتحنوا أنفسكم. أم لستم تعرفون أنفسكم أن يسوع المسيح هو فيكم إن لم تكونوا مرفوضين. لكنني أرجو أنكم ستعرفون أننا نحن لسنا مرفوضين. وأصلي إلى الله أنكم لا تعملون شيئاً رديئاً ليس لكي نظهر نحن مزكين بل لكي تصنعوا أنتم حسناً ونكون نحن كأننا مرفوضون. لأننا لا نستطيع شيئاً ضد الحق بل لأجل الحق. لأننا نفرح حينما نكون نحن ضعفاء وأنتم تكونون أقوياء. وهذا أيضاً نطلبه كمالكم». (٢كورنثوس ١٣ : ٤-٩).

٥
قـوة الإيحـــاء

بعد فترة قصيرة من وفاة أبي، وجدت في مكتبته كتاباً ذا غلاف أصفر قديم كتبه دكتور بدوين. كان عنوان الكتاب «الإيحاءات والإيحاءات الذاتية» وجدت أنني أرجع إليه عادة عندما أصارع مع مسألة الأفكار التي تأتي بأحمال وأثقال، فربما يمكن تعريف الاقتراح باختصار على أنه القوة التي تدفع فكرة نحو الإدراك من خلال المشاعر والتخيلات التي تدخل اللا وعي من مصدر خارجي، هذا وفقاً لقول بدوين:

«إن فكرت في السعادة أو الألم فإنك تميل إلى الشعور بهذه السعادة أو هذا الألم. فمنظر الشمس يبعث على فكرة الدفء وهو كاف لإعطاء إحساس بالدفء تماماً كما يحدث بالعكس حيث إن منظر الثلج وقراءة درجة حرارة الجو في الخارج يثير فكرة الشعور بالبرد».

تفرض قوة الإيحاء نفسها علينا كل يوم وفي كل وقت، فكل منا

خاضع لتأثير هؤلاء الذين نعيش ونحيا معهم. على سبيل المثال هناك أيضاً قوة أكثر مهارة، وإن كانت ليست بالقوة الإيحائية نفسها، وتتمثل هذه القوة في الأشياء الجامدة مثل الكتب والمجلات والصحف التي نقرأها والعروض والأفلام التي نشاهدها والموسيقى التي نستمع لها والإعلانات التي تنهمر علينا كل يوم.

من الواضح أن الإيحاء يمكن أن يكون قوة إيجابية أو سلبية، ولكن عندما يتعلق الأمر بالصراع ضد الأفكار غير المرغوب فيها، فمن المهم أن ندرك كم يمكن أن يعمل هذا الإيحاء بقوة ضد صوت الضمير. وعلى سياق أوسع نجد أن قوة الإيحاء السلبية واضحة في الأحكام المعاصرة على القضايا التي تبعث على الانقسام مثل الإجهاض والشذوذ وكذلك اتجاهات مجتمعنا نحو العنف. فعادة ما تثير هذه الأشياء مشاعر قوية في الناس لدرجة أنه قد يستحيل عليهم أن يتحدثوا عن تلك المشاعر بموضوعية. كم سيكون الأمر مختلفاً إن بحث كل منا في قلبه عن إجابة تلك الأسئلة الهامة بدلاً من أن نسمح لأنفسنا أن نتأرجح مع ما يقوله الخبراء أو وسائل الإعلام!

ربما يكون روح العصر هو روح الخزي المرعب الذي يميز عصرنا، فيظهر نفسه في الملابس والأدب والفن والموسيقى ومن خلال التعبير عن التمزق الداخلي والانفصال عن الخالق والدعوة إلى الغريزة البشرية الوضيعة، وعلى مستوى أعمق يمكن أن نراه على سبيل المثال في فساد الحكومات والشركات وفي تمزق العائلة والعلاقات الشخصية وفي المدارس والجامعات وفي وسائل الإعلام وفي عالم الطب والمحاماة، والأسوأ من هذا كله في الفراغ الروحي والرياء الذي تقدمه الكثير من الكنائس.

كانت إدانة الرب يسوع لروح هذا العصر واضحة فقد فضحه مشيراً إليه بأنه روح إبليس، وهو «المشتكي على أخوتنا» و«قتال منذ البدء». وبهذا يدعونا يسوع أن نسأل أنفسنا: «أين نستطيع وسط عصر من الانقسام والصخب أن نستمع إلى صوت الله الوديع الهادئ؟»

٦
الإيحـــاء الذاتـــي

نجد أن الإيحاء الذاتي على النقيض من الإيحاء إذ يعرّفه الدكتور بدوين بأنه «إطلاق القوة العاكسة للخيال من الداخل استجابة لتأثير خارجي».

ربما يبدو أن الإيحاءات الذاتية مثل القوة الإيجابية وهكذا فإنها تساعدنا على أن نستبدل التخيلات الذهنية السيئة بأخرى جيدة. ولكن من واقع خبرتي لا يكون الأمر بهذه البساطة عادة. في بعض الأحيان يزيد الخوف من الفكرة السيئة وقوتها، وهذا هو الإيحاء الذاتي، وبهذا يمكننا أن نوصل أنفسنا إلى هذه الحالة الصعبة من الصراع الداخلي لدرجة أننا لا نرى فيما بعد مخرجاً، ونفقد رؤيتنا لا لله وحسب، ولكن للحلول التي يمكن أن تخرجنا من هذا الصراع.

يؤثر الإيحاء الذاتي على مجالات أخرى في الحياة أيضاً. يتذكر كل من تعلم ركوب الدراجة أنه كان يبذل كل جهد عقلي ممكن لكي يبتعد عن حفرة أو سور ولكن ينتهي به الأمر وقد وقع في الحفرة أو

اصطدم بالسور، لماذا؟ لأنه رغم ما نبذله من جهد إرادي لنتجنب هذه الكارثة (أو نتيجة لتركيزنا البالغ) فإن الإيحاء الذاتي يهاجمنا بفكرة أنه لا يمكننا تجنبها.

يوضح الدكتور بدوين هذه المشكلة في الجزء التالي ويشير إلى فشل معين في محاولة التغلب على أفكار معينة غير مرغوب فيها:

يخشى الفرد ألا يكون قادراً على استرجاع اسم معروف، ويُصدم من عصيان ذاكرته، ويوحي لنفسه إيحاءً لا شعورياً مما يساهم في زيادة فقدانه الذاكرة. فكلما أجهد ذهنه في التفكير في الاسم مرة أخرى، أمعن الاسم في الغوص في أعماق النسيان. هنا ينتابنا شعور غامض أنه كلما اجتهدنا أكثر في تذكر الاسم، هرب منا هذا الاسم. ويبدو أن كل جهد نبذله يزيد من إظلام سماء ذاكرتنا أكثر وأكثر، وفي النهاية يصبح كل شئ مظلماً، ولا نرى أي شئ فيما بعد. منذ لحظة فقط كان الاسم على طرف اللسان والآن فقدناه مرة أخرى.

كيف يحدث مثل هذا الفقدان للذاكرة؟ دعونا نفترض أن هذه الهفوات في الذاكرة التي وصفناها لتونا وما يصاحبها من غضب نتيجة لعدم الشعور بالرضا (وربما بسبب عدم الاعتراف) تتكرر عدة مرات. في الحال تبزغ فكرة أن ذاكرتنا لا تسعفنا، وأن ذاكرتنا تندثر

ولكن هذا لأننا فكرنا بهذه الطريقة، ولأن هذا النسيان قد ترك انطباعاً قوياً علينا بفكرة النسيان.

لا شك أن الكثير من الأشياء تدخل إلى أذهاننا على أنها بذور أفكار لم تنم وتستمر في العمل في اللا وعي لفترة طويلة بعدما نرفضها في وعينا؛ فيجب على المرء أن يفكر في تلك الأحلام غير المرغوب فيها وخاصة الجنسية التي تهاجم المرء من فترة إلى أخرى. لذا، عادة ما تنتاب الشخص هذه الأحلام بعد أن كانت مجرد صورة تجذب انتباه المرء لعدة لحظات. من ناحية أخرى يجب أن نتذكر قصة يعقوب في العهد القديم حيث وجه قلبه نحو الصلاة إلى الله وباركه الله بهذا الحلم الرائع.

يجب أن تكون تلك السطور الموجهة لكل واحد منا تحذيرية عما يجب أن يملأ قلوبنا وأذهاننا، وبصفة خاصة قبلما ننام. ولا أقصد أن أزيد من شعور القارئ بالقلق أو الأنانية فيبدو أن كثيرين ينغمسون في تحليل الذات أكثر مما ينبغي بالفعل. ولكن من الأمور الصحية أن نكون قادرين على مواجهة العيوب بوضوح، إذ يخبرنا الرسول بولس أن من يحكم على نفسه لن يُحكم فيه من أحد.

المهم أن حكمنا على أنفسنا يجب أن يكون مصحوباً بالإيمان بالمسيح

الذي يريدنا أحراراً من الخطية، فبدون هذا الإيمان ربما يتسبب الانشغال الزائد بالنفس في الشك في كل دافع، وبالتالي نفقد الأمل في إمكانية التغيير، مما يؤدي حتماً إلى حدوث الاكتئاب الذي قد يقودنا بعيداً عن الله.

النقطة الأساسية في هذا كله هي ببساطة أن فهم الإيحاءات الذاتية حتى لو كانت مبسطة أو غير كاملة يجب أن يقودنا إلى شعور بالمسئولية. وعندما نتسلح بهذا الفهم يمكننا أن نسعى إلى إعادة مواطن الضعف في حياتنا الداخلية التي يهاجمها الشيطان وبهذه الطريقة نتحرر من الداخل للمحبة.

عندما نستخدم كل طاقتنا في الحفاظ على حياتنا الداخلية طافية فوق المياه، لا تتبقى لدينا قوة لننظر فيما وراء الصراع ولا تتبقى لنا قوة لنحب الآخرين، فما من حل سوى الابتعاد عن القلق والاتجاه نحو الرب يسوع وأخوتنا وأخواتنا. لو فعلنا هذا سنجد أنه رحيم للغاية، ولهذا يجب ألا نحيا في دائرة الخوف المستمر والتمركز حول الذات؛ فالله إله المحبة يعطي الرجاء والحياة الجديدة لكل من يطلبه.

٧

الأســـــر

يختبر معظم الناس في مرحلة أو أخرى الشعور بالإحباط لأنهم ببساطة غير قادرين على الهروب من فكرة ما. فلو كان ما يدور في أذهاننا أغنية أو صورة طبيعية أو إيجابية فإن المشكلة هي هذا الشعور بالإحباط. ولكن عندما يتعلق الأمر بفكرة شريرة، فإن عجزنا عن رفضها بغض النظر عما نفعله يمكن أن يقودنا إلى احتياج داخلي عظيم. ترتبط المشكلة لدى بعض الناس بالحسد أو شعور بالغيرة وبالنسبة لآخرين شعور بالعذاب بسبب سوء معاملة أو ضغائن، وللبعض الآخر يبدو وأنها الصراع الضمني مع الصور والأفكار التي تبعث على الشهوة.

تناولنا الشعور بالقلق نتيجة أفكار تجتاحنا والأمل الكاذب في التغلب على تلك الأفكار بالتركيز على أفكار مضادة، الأمر الذي لا يمكن أن يقودنا سوى إلى اتجاه واحد فقط وهو الاتجاه إلى الأسفل بطريقة لولبية نحو الاضطراب النفسي. في الواقع رأيت أن هؤلاء الذين يحاولون بكل قوة لكي يضعوا أنفسهم في إطار ذهني مثل المسيح تهاجمهم في

بعض الأحيان أسوأ الأفكار أي أفكار التجديف والقتل.

عندئذ، ماذا يمكن أن نفعل؟ من واقع خبرتي هناك أمران هامان، الأول أنه يجب أن نتذكر أننا لسنا بمفردنا في هذا الصراع. من السهل أن ننسى هذا وبصفة خاصة عندما يكون الصراع الداخلي طويلاً وعنيفاً، ولكني اكتشفت عبر السنوات أنه يمكنني الانتصار في هذا الصراع على الأقل عن طريق مشاركة شخص ما ممن أثق فيهم أو القس أو الراعي أو شريك الحياة أو صديق مقرب.

الأمر الثاني، يجب أن نظل واثقين أن هناك مخرجاً، فبمجرد أن نستسلم لأرواح الخوف والشك في الذات فإننا بهذا ننهزم في الصراع. يكتب الدكتور بدوين:

«بما أن انتباهنا يعود مرة أخرى لهذه النقطة نتخيل أننا لم نعد قادرين على تحويله. ثم تتجسد هذه الفكرة حتى لا نستطيع أن نفكر أننا قادرون على التحرر منها، وهنا تبدأ الإيحاءات. في الحقيقة نعجز عن فعل أي شئ مختلف، وبدون قصد نجد أننا أتممنا الإيحاء دون جهد يذكر».

أعتقد أن الشعور بالشلل أو بعدم القدرة في وجه الشيطان يقترب من مرحلة تملك الأرواح الشريرة علينا فربما يكون تملكاً. يجب على

المرء أن يكون حذراً في استخدام هذه الكلمة فهناك حالة ربما نشعر فيها أننا محاصرون بالأرواح الشريرة ولكننا لا نسمح لها أن تسيطر علينا، فما يدعوه العهد الجديد سكنى الأرواح الشريرة يحدث عندما يخضع المرء بالكامل لقوة الشرير، ولكن يجب أن ندرك أن هناك أناساً اليوم في هذه الحالة.

يبدو أن هناك ما يجذبنا لكي نرفض فكرة سيطرة الأرواح الشريرة في هذا العالم الذي نجد فيه أن كل شئ يفسر من قبل علماء النفس والأطباء النفسيين، فلدينا وصف طبي لكل داء، ويبدو أن هناك علاجاً طبياً أيضاً لكل داء، ولكن هناك كثيرون يقف الطب النفسي عاجزاً أمامهم! فقد تساءلت ماذا يحدث إن زار يسوع مستشفياتنا العقلية المليئة بالناس؟ كم عدد الأشخاص الذين سيراهم الرب يسوع خاضعين لسلطان الأرواح الشريرة؟ كم عدد الرجال والنساء الذين لا يستطيع البشر أن يقدم لهم يد العون فهم بحاجة إلى لمسته المحررة؟

أخيراً، ينطبق الحق نفسه على البشر سواء أكانوا تحت سيطرة الأرواح الشريرة أو مطاردين فقط منها فالمسيح وحده بالروح القدس يمكن أن يزيل ظلمتهم وحزنهم وخوفهم. يجب أن يساعدنا هذا الإدراك لكي نعامل هؤلاء الذين تقيدهم الأرواح الشريرة بصبر ورفق، هذا بالنسبة

لهؤلاء الذين يشعرون منا أنهم أحرار من عذاب الأسر، أما النسبة للشخص الذي وقع في شرك الصراع فيجب أن يرفع قلبه للرب يسوع حتى يملك على حياتنا الداخلية.

نحن لا نهتم هنا بتصنيف الخطية ولكن بالاعتراف بحقيقة أن حيل الشيطان ورياسات الظلمة التي تحدث عنها كتاب العهد الجديد قوى حقيقية. وعندما ندرك هذا يمكننا أن نتمسك بكلمات الرب يسوع الرائعة عن نصرته الموعودة: «وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ أَنَا بِرُوحِ اللَّهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللَّهِ!»

٨
الكبـــــت

رغم سهولة طرد بعض الأفكار الشريرة (أو التغلب عليها بصلاة قصيرة) فإن البعض الآخر يصعب طرده. وفي حالة الانزعاج من تلك الأفكار الشريرة فإن رد فعلنا الطبيعي عادة ما يكون أن نحاول كبتها، ودفعها إلى أعماق اللا وعي لكي نتخلص منها بسرعة، ولكن هذه الطريقة لا تنجح أبداً. فكما أوضح فرويد وكثيرون غيره فإن تلك الأفكار المكبوتة ستظهر دائماً على السطح مثلما يحدث عندما تطفو زجاجة دفعناها إلى أعماق الماء مرة أخرى على السطح بمجرد أن نتركها. أما البديل الوحيد فهو أن نلتقطها ونرميها بعيداً عن المياه، بمعنى آخر أن أفضل أسلوب للتخلص فعلياً من تلك الأفكار التي تضغط على أذهاننا هو أن نواجهها ونرفضها. ومن الواضح أنه لا يمكنني الاتفاق مع النتيجة التي توصل لها فرويد وهي أن الإنسان يمكنه التخلص من الضغوط بأن يتصرف وفقاً لتلك الأفكار المكبوتة.

يوضح بدوين آثار الكبت في استعارة أخرى:

يسقط غصن (أو نلقيه عمداً) في جدول المياه فتختفي المياه في الأرض ولكن الغصن يظهر مرة أخرى في الفتحة التالية لأن الجدول الجوفي حمل هذا الغصن بمنتهى الأمان رغم أنه لم يكن من السهل الوصول إليه طوال الرحلة. وهكذا فإن الفكرة التي دخلت (أو أدخلناها عمداً) إلى أذهاننا ستؤدي إلى آثار بعد التطورات القصيرة أو الطويلة التي تحدث في اللا وعي.

ترمز المياه والغصن إلى حياتنا الداخلية فعندما نضع صورة أو فكرة إيجابية في قلوبنا ستبقى فينا وستعمل فينا حتى تظهر مرة أخرى في تيار أفكارنا الشعورية. وينطبق الأمر نفسه لو أننا أفسحنا المجال لفكرة أو صورة شريرة. ربما تظل محبوسة في اللا وعي ولكنها فجأة تطفو ويظهر تأثيرها غير الملحوظ على حياتنا الداخلية.

تقابلت في عملي في تقديم المشورة مع أناس عاشوا في هذا الخوف من أفكار أو مشاعر شريرة لدرجة أنهم كبتوا كل ما كان يتبادر إلى أذهانهم، وعاش بعضهم في تلك الحالة من الاضطراب الداخلي لدرجة أنهم كانوا ينزعجون من مجرد فكرة التجربة، وعاشوا في خوف دائم من عقولهم.

لا يمكن لأي شخص أن يظل متوازناً في هذا الموقف المشحون

لفترة طويلة، في الواقع سرعان ما يختفي الفارق بينه وبين الشخص العصبي الذي في محاولاته لكي يحرر نفسه يوقع نفسه في شرك أعمق أو الشخص المصاب بانفصام الشخصية الذي يحاول أن يقاوم الأصوات (أو يهرب منها) أو الهذيان الذي يقوي من هذه الأوهام. يمكننا أن نستخدم مثالاً آخر من العالم الطبيعي من حولنا: تشبه الحياة الداخلية لأي إنسان بالوناً منفوخاً للغاية. من المؤكد أنه سينفجر في وقت ما ويطلق موجة كاملة من الأفكار والمشاعر المكبوتة دفعة واحدة.

أكرر مرة أخرى، يمكننا أن نجد المعونة الداخلية في وسط هذا كله بالاعتراف بأنه لا يمكننا التغلب على أي صراع داخلي بقوة إرادتنا. وبالتالي يجب أولاً أن نهدأ من الداخل، فيعلم كل منا في أعماقه ما الذي يريده فعلاً وحتى إن شعرنا بأننا مضطربون وغير سعداء يجب أن نحاول توجيه تركيزنا من جديد نحو تلك الأشواق. الله يحبنا ويريد أن يساعدنا حتى ولو كان هذا الإيمان يهاجمه الشك بصفة متكررة، فإن الله يستطيع أن يساعدنا على التغلب على مخاوفنا. ويجب أيضاً أن نتذكر أننا سنفشل إذا حاولنا مصارعة مشاعرنا غير المرغوب فيها بمشاعر أخرى، فلا يمكن لأي منا أن يصلح ويعدل من مشاعره

وعواطفه، وإنما يمكننا أن نثق في الله، فهو يعلم أعماق قلوبنا ويمكنه أن يمنحنا راحة:

«وكذلك الروح أيضاً يعين ضعفاتنا. لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها. ولكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح. لأنه بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين» (رومية ٨: ٢٦-٢٧).

٩

الإيمـــــان

يعد الإيمان بالله الحل الوحيد للعذاب الداخلي، ربما يبدو هذا بسيطاً ولكن الإيمان هو المدخل الوحيد الذي يمكن أن يخترق من خلاله النور إلى حياتنا ويأتي بالفداء من الشرير. والإيمان سر ولا يقدم تفسيراً عن نفسه، تماماً مثله مثل النعمة. فربما يبدو شيئاً بعيد المنال بالنسبة لشخص ما لم يختبر قوته.

لا يمكن أن نمتلك الإيمان بقرار من الإرادة وإنما الإيمان عطية من الله، ومع ذلك فالله يعطيها لكل من يطلبها، فالرب يسوع يقول: «اطلبوا تجدوا». ولكن المهم هنا هو الثقة، فالإيمان لا يعتمد على المنطق ولا على النظريات ولا على الأسس النظرية ولا على التفسيرات العقلية، ولكنه الثقة وخصوصاً في غياب تلك الأمور كلها. كان لمريم الكثير من الأسباب الوجيهة التي تجعلها تشك في الملاك الذي أتى إليها من الله ولكنها آمنت بما قاله وقالت: «هوذا أنا أمة الرب» وقبلت الكلمة في قلبها. نعم، من الممكن أن يكون الأمر بهذه البساطة!

كثيرون يمتلكون ولو القدر البسيط من الإيمان، فالبعض يعرف المسيح وتخبرهم قلوبهم أنهم أمام شخص يمكنهم الوثوق فيه. ولكن كل منا أيضاً يعرف أن مشاعر الخوف والقلق عادة ما تقودنا إلى الشك والتكتم. شئ ما فينا يطلب المسيح وفي الوقت نفسه شئ منا يمنعنا ويجعلنا لا نرغب في أن ننفتح عليه بالكامل. غير أن هذا ما يجب أن نفعله، إذ إن الانفتاح هو الخطوة الأولى نحو الإيمان.

محبة الله دائماً حولنا سواء قبلناه أم لا، يكتب باسكال في كتابه «أفكار Pensées»: «لم تكن لتجدني لولا أنك طلبتني». يجب أن تساعدنا هذه الكلمات على إدراك أن الرب يسوع يحبنا قبلما نحبه، بل إنه ربما يعمل في قلوبنا حتى لو لم ندرك ذلك.

بالطبع الإيمان لا يغيرنا بطريقة سحرية، فالعدو دائماً موجود وهو دائماً يسعى لكي يجعل المرء عرضة للتلوث حتى يأتي بسقوطه. ولا يكفي أن نعطي المسيح ما هو جيد فينا، ولا أن نسلم آثامنا وأحمالنا وحسب، فهو يريد أنفسنا بالكامل، وإن لم نودع أنفسنا فيه بالكامل فلن نجد الحرية الداخلية والسلام الكامل الذي يعدنا به.

تتطلب البركة المصاحبة للإيمان بالمسيح المزيد، فهي تتطلب الطاعة «الذي يؤمن بالابن فله حياة أبدية. والذي لا يؤمن بالابن لن

يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله» (يوحنا ٣: ٣٦).

ترجع إيحاءات اللاوعي إلى شعورنا بالخوف من عدم مقدرتنا على أن نجد العون. عندما قال الرب يسوع «إن لم تأكلوا جسدي وتشربوا دمي فليس لكم حياة فيكم». وجد أتباعه المقربون أن هذه الكلمات صعبة القبول، ولهذا تركه كثيرون. ولكنه عندما سأل الاثنى عشر: ألعلكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا؟ أجاب بطرس: «إلى من نذهب وكلام الحياة الأبدية عندك. ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي». طالما أنه لدينا هذا الإيمان فسنجد أن الرب يسوع يفعل كل شئ لأجلنا وسيفعل أيضاً.

شعرت في هذا الإطار أن رمز دم الرب يسوع هو المهم، فالتطهير الذي يقدمه ليس تعليماً أو عقيدة جديدة، وإنما إمكانية إقامة علاقة شخصية معه، فهو الذي يقول «أنا هو خبز الحياة من يقبل إلي فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً» (يوحنا ٦: ٣٥). «من يؤمن بي فله الحياة».

ولكن المؤثر هو وصف يوحنا لوعد الرب يسوع لكل واحد منا يتمسك به في كل وقت بغض النظر عن صعوبة الطريق:

«وفي اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً إن

عطش أحد فليقبل إلي ويشرب. من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي» (يوحنا ٧: ٣٧-٣٨).

لن نجد السلام بعيداً عن الرب يسوع، فهو موجود لأجل هؤلاء الذين تركوه كما فعل كثيرون في وقته حين وجدوا أنه من الصعب عليهم أن يقبلوا كلماته وهو موجود أيضاً لأجلنا حتى في أحلك الساعات عندما يتزعزع إيماننا، فهو يحررنا لا لأجل هذه الحياة وحسب ولكن لأجل الحياة الأبدية أيضاً، وبالتالي نصلي لأجل أنفسنا ولأجل كل رجل وامرأة بما في ذلك هؤلاء الذين لا يؤمنون قائلين: «يا رب ساعدنا فنحن بحاجة لك ولجسدك وروحك وحياتك وموتك ولرسالتك للخليقة كلها».

١٠
تسليم الذات

إن كنا نؤمن أن الإيمان عطية من الله فهذا يترتب عليه أن نمتلك تلك الموهبة ويجب أن نقبلها بإرادتنا، فيجب أن نقبلها كعطية فلا يمكننا أن نتنبأ بالطريق الذي ستسلكه أو بالطريق الذي قد تغير به حياتنا، باختصار يجب أن نسلم كل إيمان بقوتنا لكي يحدث هذا التغيير لكي نقبل الإيمان بالله الذي يقول «تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل» (٢كورنثوس ١٢: ٩).

في كتاب قديم معروف بعنوان «الراعي» يستخدم أحد المؤمنين الأوائل مثلاً حياً ليظهر لنا أهمية التخلي عن قوتنا البشرية، فيصف الملكوت على أنه هيكل عظيم من الرخام في عملية البناء ويصف كل رجل وامرأة في العالم على أنه حجر بناء. وينحت نحاتو السيد الحجارة التي تبدو نافعة وإذا أصبحت مناسبة يجب أن يستخدموها أما الحجارة غير النافعة فيجب الاستغناء عنها. كان لهذه الصورة معنى بسيط ولكنه عميق بالنسبة لي، فالله قادر أن يستخدمنا فقط عندما تكون

لدينا الرغبة في أن نُنْحَت لأجل أهدافه، وهذا معناه أنه يجب أن نسلم أنفسنا بالكامل لكي نخدم مقاصده.

ما هو التسليم الحقيقي؟ ربما يستسلم شخص لشخص أقوى أو جيش لجيش أقوى، ربما نستسلم لله لأنه هو الإله القادر على كل شئ، أو لأننا نخشى دينونته، ولكن لا يعتبر أي من هذه الأمور تسليماً كاملاً. أما عندما نختبر أن الله صالح وأنه هو وحده الصالح فمن الممكن أن نسلم له كل قلوبنا ونفوسنا وكياننا برغبتنا وبدون شروط لأننا نحبه.

قال أبي ذات مرة شيئاً له علاقة بالأمر:

من الصعب أن تصف كيف نتجرد من القوة، وكيف يجب أن نسقطها ونسحقها ونمزقها ونبعدها؛ فهذا أمر ليس سهلاً ولن يحدث بواسطة قرار بطولي فردي، وإنما يجب أن يحدث فينا بواسطة الله، وهذا هو أصل النعمة أي التخلي عن قوتنا. وما لم نصل إلى مرحلة التخلي فلن يستطيع الله أن يعمل فينا بروحه ويحقق أهدافه المقدسة فينا.

بالطبع الخطوة الأولى التي يجب أن نخطوها هي أن نطلب من الله أن يدخل إلى قلوبنا. وهذا لا يعني أن الله لا يمكنه أن يدخل أو لا

يريد أن يتصرف دون أن نطلب منه، ولكنه ينتظر أن نفتح له حياتنا برغبتنا. «هأنذا واقف على الباب وأقرع. إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي» (رؤيا ٣: ٢٠).

يتساءل كثيرون لماذا لا يفرض الله إرادته عليهم إن كان هو بهذه القوة، ولكن هذه ببساطة هي طبيعة الله، فهو ينتظر أن نكون مستعدين. حقاً يؤدب الله هؤلاء الذين يحبهم ويدعوهم إلى التوبة ولكنه لا يفرض عليهم صلاحه.

لو أن أباً هدد ابنه وفرض عليه مقاصده الصالحة لشعر الابن أن هذه ليست المحبة. لهذا أيضاً لا يفرض الله إرادته على أي شخص. يواجهنا سؤال هام ألا وهو: هل نرغب في أن نسلم أنفسنا لله طواعية وأن نفتح نوافذ قلوبنا حتى يدخل صلاحه ويملأ حياتنا؟

توضح الصراعات التي تدور في داخلنا بسبب هذا الكتاب أن هذا التسليم ليس سهلاً بالمرة، ولكنه يحدث نتيجة انهيار قوى أخرى. اضطر الرب يسوع نفسه أن يحارب بقوة حتى يسلم إرادته لإرادة الله لدرجة أن جبينه تصبب عرقاً من دم. أحاط به الشيطان من كل الجهات ولكنه ظل أميناً، وكان اتجاه قلبه هو «لتكن لا إرادتي بل إرادتك» وهذا ما يجب أن يكون اتجاه قلب كل منا.

عادة ما تحدث أصعب المواقف مثل المآسي غير المتوقعة أو الموت أو المعاناة أو الخسارة المفاجئة دون أن نعرف السبب، هكذا الأمر أيضاً بالنسبة للصراع مع الأفكار الشريرة. ولكن عندما نتأكد من أن الصراع انتهى أو أننا تغلبنا على هذا العائق فنجده يهاجمنا من جديد، عندئذ ندرك أن الحل يكمن في التسليم الكامل للرب يسوع.

كل شخص معرض لاجتياز أوقات عصيبة، ويبدو للبعض الصراع لقبول الصعاب وكأنه صراع لا يمكن الانتصار فيه، ومع ذلك يجب ألا ننسى أن النصرة الأخيرة لله فالسماء والأرض تزولان، ولكن هناك سماء جديدة وأرض جديدة.

١١
الاعتـــراف

يقول الرب يسوع في متى ٦ : ٢٢-٢٤ إنه إذا خدمنا سيدين نحيا في الظلام. كيف إذن يمكننا أن نجد وحدانية القلب التي تأتي بنا إلى نوره؟ أولاً، يجب أن نرى أن عيوننا الداخلية نقية ولا يلوثها عار خطية لم نعترف بها. طالما أننا نحمل ثقل ذنب خفي فلن نجد أبداً الحرية أو الفرح الكامل، وستظل عيوننا مريضة وسيظل جسدنا كله في الظلمة.

الاعتراف هو التخلص من خطايانا لنلقيها على شخص آخر لكي نتحرر من ثقلها وهو شئ يسهل تعريفه ولكن ليس من السهل أبداً ممارسته. يكتب بدوين: «عندما نكتشف أننا تسببنا في شقاء أنفسنا فإن هذا الاعتراف يشتمل على شئ وضيع بالنسبة لنا لدرجة أننا نقاوم الاعتراف به. ولكن بما أننا تسببنا في شقاء أنفسنا فعلاً، فمن الضروري بالنسبة لنا أن نكون أمناء جداً فيما يتعلق بفشلنا في إيجاد الشفاء».

ورغم تلك النصيحة التي نجدها في رسالة يعقوب «اعترفوا بعضكم

لبعض» إلا أن الكثير من المؤمنين اليوم يشككون في الحاجة إلى الاعتراف، فالبعض يرفض الفكرة على أنها فكرة كاثوليكية بحتة وآخرون يؤكدون على أهمية العلاقة الشخصية الخاصة مع الله وينادون بأنه يكفي أن نأتي بخطايانا له، ولكن ما ينادون به ليس له حجة منطقية لأن الله يعرف خطايانا بالفعل (عبرانيين ٤: ١٣). فإن لم نتعد نطاق الاعتراف بخطايانا لكي نعترف بها لشخص آخر فلن نشعر بالراحة من ثقل هذا الحمل.

عندما تكون الأحمال ثقيلة بسبب الخطايا التي ارتكبناها بوعي فيجب أن يكون هناك اعتراف. وهنا نجد أن الحقيقة التي ينصحنا بها الدكتور بدوين هامة للغاية لأنه بدون الضمير النقي يصبح هذا مستحيلاً. قد نشعر في بعض الأحيان بهجوم الشرير في أكثر من اتجاه عام ونخشى الاستسلام له. فإن استمر هذا القلق يجب الاعتراف به، وهذا لا يعني أن نحفر في اللاوعي من أجل تلك الأمور الصغيرة. يخبرنا الله من خلال الضمير أن هناك خطأ ما يجب الاعتراف به حتى نحصل على الغفران. ولكن الهدف من الاعتراف يجب أن يكون الحصول على الحرية وليس زيادة الشعور بالاهتمام بالذات، فنحن نريد أن نجد الرب يسوع لا أنفسنا.

يتداخل الإيمان والضمير الصالح معاً، فإن لم ننتبه لصوت الضمير فسيدمر إيماننا، وبدون إيمان سنفقد إمكانية الحصول على ضمير صالح في المقام الأول. لهذا، يقول الرسول إن ضمير هؤلاء الذين لا يؤمنون غير نقي، وهذا متوقع لأنه بدون إيمان لا يستطيع الضمير أن يتمسك بأي شيء.

من الواضح أنه عندما نعترف بخطية لشخص ما نثق فيه ونحبه، تظهر بيننا رابطة جديدة من خلال الاعتراف بالذنب. ويعول الرب يسوع كثير على هذه الرابطة كما يشير في تأكيده على المجتمع من خلال الأناجيل. في الواقع يعد يسوع أنه حينما يجتمع اثنان أو ثلاثة باسمه فسيكون في وسطهم، وبالنسبة لي الوحدة تعني مجتمعاً سواء كان هناك شركة في العمل أو في الطعام أو صلاة مشتركة أو قراءة وتأمل مع صديق أو شريك الحياة، فالمهم هو القوة والتحصن ضد الخطية وهو ما يأتي من الشركة، فالقلب الوحيد قلب يواجه خطراً عظيماً.

ليس للاعتراف في حد ذاته أي آثار، يدفع الناس أموالاً باهظة لكي يخبروا الأطباء النفسيين بمعاناتهم وخطاياهم. ويستخدم هؤلاء الأطباء كل أنواع العلاج لكي يساعدوهم وليهدأوا من روع ضمائرهم،

في النهاية يظل الاعتراف مستودعاً للخطية من شخص لآخر وليس له أي أثر فدائي.

يتحول الاعتراف إلى فرح، فعندما نمزق الحجاب الذي جعل خطيتنا مستترة فإننا بهذا نزيل السرية، رأيت أناساً يتغيرون في الحال. جاءني أناس في حالة مزرية لأن خطيتهم تضع عليهم ثقلاً ملموساً ولكنها هربت بمجرد أن أزاحوها عن صدورهم.

يصف بونهوفر هذا التحول في أسلوب رائع، ويظهر لنا أن الأمر أكثر من مجرد قضية نفسية وإنما يحتوي على معنى أبدي:

في الاعتراف بخطايا محددة يموت الإنسان العتيق موت عار ومؤلم أمام أعين الأخ الذي نعترف له، ولأن هذه العملية صعبة فإننا دائماً نخطط للهروب منها. ولكن في الألم الجسدي والذهني العميق الذي تنطوي عليه هذه العملية أمام أحد أخوتنا نختبر صليب الرب يسوع باعتباره النجاة والخلاص، فيموت العتيق لأن الله انتصر عليه. والآن نستطيع أن نشترك في قيامة المسيح والحياة الأبدية.

١٢
الصـــــلاة

يحفل العهد الجديد من إنجيل متى إلى سفر الرؤيا بالكثير من الإشارات إلى الصلاة على أنها أفضل سلاح للحرب الروحية، ونجد أعمق هذه الإشارات في أفسس ٦:

«أخيراً يا أخوتي تقووا في الرب وفي شدة قوته. البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس. فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات. من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير وبعد أن تتمموا كل شئ أن تثبتوا. فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق ولابسين درع البر. وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام. حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة. وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذي هو كلمة الله. مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة لأجل جميع القديسين» (أفسس ٦: ١٠-١٨).

هناك جزء آخر هام عن الصلاة في متى ٦ : ٦ حيث يعلمنا الرب يسوع كيف نصلي فيخبرنا أن نغلق على أنفسنا المخدع ونصلي في الخفاء لله الذي يرى في الخفاء ويجازينا. شعرت دائماً أن اهتمام الرب يسوع لم يكن موجهاً نحو الخصوصية بقدر ما كان موجهاً نحو الاتضاع، فهو يحذرنا من أن نطلب المجد من الناس مثل الفريسيين ويحذرنا من الإطالة في الصلاة.

يمكن أن تكون حياة الصلاة ذات المعنى محيرة بالنسبة للشخص المنشغل بالصراع المكثف ضد الخطية. منذ عدة سنوات قدمت المشورة لرجل يتوق أن يجد راحة من صراعه مع خطية معينة، ولكنه ببساطة لم يجد السلام. صلى هذا الرجل بلجاجة ساعات طويلة، وعندما بدا أن الصلاة لا تقدم له العون صلى للرب يسوع لكي يحرره من أية مقاومة في اللاشعور ربما تكون في داخله. وكلما صلى ازداد اضطراباً ويأساً، وبدا أن هذا العذاب الداخلي الذي يشعر به يبرهن على أن صلواته لا ترضي الله.

كيف يمكن لمثل هذا الشخص أن يجد العون؟ كل حالة قائمة بذاتها. ولكن في هذا المثال يبدو أن هناك حقيقة معينة يجب أن نتمسك بها ألا وهي أنه عندما نشعر بأن الله لا يستجيب صلواتنا فيجب أن

نفكر أن الأمر لا يتعلق بعدم استجابة الله بقدر ما أنه يتعلق بعدم إيماننا. ونتيجة للإيحاءات الذاتية ينتاب أذهاننا شعور بالشك في قوة الله. وكلما اجتهدنا شعرنا بالهزيمة، وكلما غرقنا بسرعة في بحر رمال، زاد الشعور بعدم وجود عون، والحل هو أن تتوقف عن الشعور بالهزيمة وأن تستمع إلى صوت الله.

كثيراً ما نصلي لأجل شيء نريده وننسى أن نسأل الله عما يريده منا في تلك اللحظة بالذات، وننسى الحكمة التي عبر عنها الرب يسوع بكلماته قائلاً: «طوبى للمساكين بالروح». تعبير المساكين بالروح يعني الفراغ والصمت والأمانة والاتضاع وليس لها أي علاقة بالصراع أو عذاب العواطف المتأججة. ولكنه يعني تسليم أنفسنا لله كما نحن تماماً خطاة بائسين وتعساء ومساكين بدلاً من أن نصلح من أنفسنا لأجله.

يعرف الله حالتنا الداخلية ولا جدوى تذكر من محاولة تحسين مظهرنا؛ فمن الواضح أن محاولة إصلاح أنفسنا ليست سوى حماقة، وهكذا أيضاً محاولة أن نتخيل كيف يريدنا الله أن نكون ونأمل أنه عندما ندخل في إطار ذهني مقدس، فإنه سيسمعنا أكثر وسيستجيب لنا.

«لا تهتموا بشئ بل في كل شئ بالصلاة والدعاء مع الشكر لتعلم

طلباتكم لدى الله. وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع» (فيلبي ٤: ٦-٧).

سيستجيب الله دائماً الصلاة الحقيقية حتى إذا لم يستجبها في الحال. صلى دانيال بحرارة من أجل أن يغفر الله خطايا إسرائيل ومع ذلك لم يحصل على استجابة لصلواته إلا بعد ثلاثة أسابيع، وعندها ظهر له ملاك في رؤيا وقال:

«فقال لا تخف يا دانيال لأنه من اليوم الأول الذي فيه جعلت قلبك للفهم ولإذلال نفسك قدام إلهك سمع كلامك وأنا أتيت لأجل كلامك. ورئيس مملكة فارس وقف مقابلي واحداً وعشرين يوماً وهوذا ميخائيل واحد من الرؤساء الأولين جاء لإعانتي وأنا بقيت هناك عند ملوك فارس. وجئت لأفهمك ما يصيب شعبك في الأيام الأخيرة لأن الرؤيا إلى أيام بعد». (دانيال ١٠: ١٢-١٤).

هكذا نرى أن الله سمع صلوات دانيال من البداية رغم أن قوات الظلمة صعبت على الملاك الذي يأتي بهذه الاستجابة الوصول بها. واليوم رغم نصرة الصليب فلا زالت هناك قوات ظلمة تعمل، وربما لا تستجاب صلواتنا في الحال مثلما حدث مع دانيال، ولكن الله يسمعها، فدعونا نؤمن بهذا.

١٣
الانفصـــال

عندما نشعر وسط تجربة الصراع باشتياق إلى الله في أعماق قلوبنا، فهذه علامة على أنه ما زال موجوداً، (وتعد حقيقة أننا نصارع علامة على هذا أيضاً). ربما لا نملك القوة لكي نتبعه في تلك اللحظة ولكن طالما أننا نتوق لكي نسمعه من خلال صوت ضمائرنا يمكننا أن نتمسك بهذا ونعرف أنه سيقودنا للخروج من هذا الصراع.

يختفي الله في أعماق قلب الإنسان لأنه خلق كل واحد منا على صورته. ولو كان لدينا إيمان الأطفال في هذا الأمر يجب ألا يكون من الصعب أن نؤمن بأن صوته هو الذي يقودنا لنخرج من الظلمة إلى الحرية والنور. ولكن كيف يمكننا أن نجد الهدوء الداخلي الذي نحتاجه لكي نسمع صوته رغم كل تلك الأصوات التي تجذب انتباهنا؟

يعالج أبي في إحدى قصائده هذا الأمر معبراً عن رغبته في أن ينسكب من أجل الله حتى يمكنه أن ينتظره في هدوء. فهذا الهدوء الذي وصفه الصوفي الألماني في القرن الثالث عشر انفصالاً هو الحاجة

الملحة لكل مؤمن. فالانفصال يعني أن نفصل أنفسنا عن صراعات اليوم وعن القلق على العمل والمتعة والحياة الشخصية وعن الأخبار والرياضة والصداع الذي ينتابنا لحل مشكلة عملية وعن هموم التخطيط للمستقبل. فالانفصال يعني أن نقف أمام الله في صمت حتى يمكننا أن نفهم عمله في قلوبنا.

فحتى الإرادة القوية التي كتبت عنها مسبقاً يجب أن تستسلم حتى يمكن لهذا الصوت العميق في القلب أن يتحدث دون أن ينافسه أي شئ آخر. وهذا يعني انفصالاً عن الجشع والثروة وعدم النقاوة والحقد والخداع والشك والكراهية وانفصالاً عن كل روح غريب عن الله. أود التأكيد مرة أخرى على أهمية اللاشعور، وأذكّر القارئ أن السبب وراء أي هجوم من الأرواح الشريرة ستجده في اللاشعور. وعندما نتذكر هذا يجب أن يكون واضحاً كم أنه من المهم أن نجد وقتاً للانفصال كل مساء قبلما ننام، فما نسمح به في قلوبنا قد يعمل في داخلنا طوال الليل.

نعلم أنه لا يمكننا أن نحقق الانفصال الحقيقي بقوتنا، ولكن هذا لا يجعلنا نشك في الذات أو نقلق، في الواقع أفضل طريق لكي نظل في حمأة الصراع ولا نرى أي شئ صالح على الإطلاق هو الاستمرار في تخزين ضعفاتنا. قدمت المشورة لكثيرين فعلوا هذا إذ إنهم كانوا يراقبون

أنفسهم طوال الوقت لدرجة أنهم أصبحوا في صراع ولم يستطيعوا أبداً الاستماع لصوت الله.

إن أردنا فعلاً أن نحصل على معونة من الله، يجب ألا ننظر إلى أنفسنا ولكن لننظر له. كتب إيكهارت: لا يمكن لأي شئ أن يصنع إنساناً حقيقياً سوى أن يتنازل عن إرادته، فهذه وحدها الإرادة الحقيقية والتامة. عندئذ يدخل هذا الإنسان في إرادة الله ولا تكون له إرادة شخصية ذلك لأن كمال إرادة الإنسان يعني أن يكون في انسجام مع الإرادة الإلهية بأن يرغب فيما يرغب فيه الله.

عندما ظهر الملاك لمريم لم يكن بيدها شيء تفعله يؤهلها لتكون أماً للرب يسوع. ولكن بمجرد أن تخلت عن إرادتها أصبحت أم الكلمة الأبدي وحملت بيسوع.

لم يقدم الله نفسه لإرادة غريبة (ولن يفعل)، فعندما يجد أن إرادته هي التي تسيطر على الأمر ينقل نفسه ويترك نفسه بكل ما فيه، وهذا هو الانفصال الداخلي الحقيقي. عندئذ يقف الروح صامداً في وجه كل شئ يسقط عليه سواء كان صالحاً أو شريراً، للمجد أو للمهانة كما يقف الجبل الشامخ ثابتاً لا يتحرك في وجه النسيم البسيط.

يعطش الإنسان ويجوع لإرادة الله جداً، ويسعد جداً ولا يرغب في أي شئ آخر ولا يريد أي شئ آخر سوى ما يأمر به الله له. فلو كانت إرادة الله سترضيك بهذه الطريقة، فستشعر كما لو كنت في السماء بغض النظر عما يحدث أو لا يحدث في حياتك. ولكن هؤلاء الذين يرغبون في شئ مختلف عن إرادة الله سيحصلون على ما يستحقونه إذ سيعيشون دائماً في بؤس وشقاء، وسيجرحهم الناس ويضايقونهم وسيعانون بكل بطريقة.

نزعج الله بكلماتنا نهاراً وليلاً: «يا رب لتكن مشيئتك» ولكن عندما تتم مشيئة الله نصاب بالإحباط ولا تعجبنا. عندما تصبح إرادتنا هي إرادة الله هذا جيد، ولكن كم سيكون من الأفضل لو أن إرادة الله أصبحت إرادتنا.

لو أنك مريض لن تريد بالطبع أن تتعافى ضد إرادة الله ولكنك ترغب في أن تكون العافية إرادة الله من نحوك. وعندما تسير الأمور بطريقة سيئة معك فإنك ترغب لو أن إرادة تكون أفضل من هذا. ولكن عندما تصبح إرادة الله هي إرادتك عندئذ لو كنت مريضاً فسيكون هذا في اسم الله! ولو مات أحد الأصدقاء فسيكون هذا في اسم الله!

فأي شخص يوحد إرادته بإرادة الله تماماً فليس له حاجة أن يقول

باشتياق: «يا رب أرني ما هي إرادتك وأعطني القوة لكي أفعلها». فسيفعل الله هذا، طالما أنه حي وسيعطي لمثل هذا الشخص الملء والكمال.

ما من إنسان يستطيع أن يقدم لله ما يمكن أن يرضيه أكثر من الانفصال، فالله لا يهتم بسهرنا أو أصوامنا أو صلواتنا أكثر من اهتمامه بانفصالنا. باختصار الله لا يريد أي شئ سوى أن نعطيه قلباً هادئاً.

ربما من الجيد أن يتذكر المجرَبون الحائرون ما يعوق عن انفصالهم وهو أن الذهن ليس مجرد فراغ خال؛ فما نزيله من أذهاننا يجب أن نضع مكانه شيئاً آخر. وبالتالي فمن المهم ألا نسقط كل شئ يصرف انتباهنا نحو شئ آخر، وإنما نركز عيوننا الداخلية وأذاننا على شخص الرب يسوع وحده. فكلما استطعنا النظر إلى الخارج ونسيان أنفسنا كان من الأسهل أن يحرر الله أذهاننا ويشفيها، على حد قول كاتب الرسالة إلى فيلبي:

«أخيراً أيها الأخوة كل ما هو حق كل ما هو جليل كل ما هو عادل كل ما هو طاهر كل ما هو مسر كل ما صيته حسن. إن كانت فضيلة وإن كان مدح ففي هذه افتكروا. وما تعلمتوه وتسلمتموه وسمعتموه ورأيتموه فيّ فهذا افعلوا وإله السلام يكون معكم» (فيلبي ٤: ٨-٩).

عندما تجد النفس هذا السلام وتتحرر من أية قوة روحية تصارع في الداخل حتى ولو كانت أشواقاً تعذبها. عندئذ يمكن أن يتحدث لها صوت الله الذي هو الروح القدس.

١٤
التوبة والولادة الجديدة

ناقشنا في الفصول السابقة أهمية تسليم الذات والاعتراف والصلاة والانفصال. عندما ننحي كل هذه الأشياء جانباً يطرح سؤال مهم نفسه: ما الذي يجب أن نفعله لنكسر شوكة الخطية تماماً في قلوبنا حتى يمكننا أن «نولد الولادة الجديدة».

وفقاً للعهد الجديد يجب أن نتوب، والتوبة هي أن نظهر ندماً حقيقياً وعميقاً على خطايانا حتى ننأى بأنفسنا عنها تماماً. ولا نكتفي بمجرد الاعتراف، فالتوبة ليست فكرة رائجة بين المؤمنين اليوم، إذ يرتبك الناس بصفة عامة عندما يواجهون بهذه الفكرة، فلا أحد يحب أن يرى نفسه كخاطئ فالأفضل أن يكون مؤمناً صالحاً. ولكن ألم توضح الأناجيل الأربعة أن المسيح أتى لأجل الخطاة لا لأجل القديسين وأن الطريق إلى المسيح هو الاتضاع وانسحاق الروح وليس الصلاح البشري؟

عندما يصف الرسول بولس نفسه بأنه «أول الخطاة»، يشعر المرء

أن هذه مجرد كلمات رجل تقي، ولكنه بالفعل يعني هذه الكلمات. اضطهد بولس الكنيسة وكان مسئولاً عن قتل العديد من المؤمنين وكان يعرف أنه عدو لله، وفي يوم الخمسين رأى الناس في أورشليم أنفسهم خطاة، فلم يشعروا أنهم يستحقون الروح القدس. ولكن الروح القدس اخترق قلوبهم ووصفوا أنفسهم بأنهم قتلة المسيح، ولكن الله استطاع أن يستخدمهم بسبب هذا الاعتراف.

إن أردنا أن يستخدمنا الله يجب أن يدرك كل منا أنه خاطئ، حتى بطرس كان متواضعاً بدرجة كافية لكي يدرك فشله، لرغم أنه كان أكثر التلاميذ الذين وثق فيهم الرب. وبعدما أنكر يسوع يخبرنا الكتاب المقدس أنه خرج وبكى بمرارة. لا يوجد طريق آخر أمامنا سوى البكاء على خطايانا.

ليست التوبة أمراً سهلاً فهي تتطلب صراعاً عنيفاً، ولكن حتى في أحلك الأوقات يمكننا أن نتمسك بحقيقة أن الرب يسوع إلى جوارنا ليعيننا كما نقرأ في الرسالة إلى العبرانيين:

«الذي في أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه. مع كونه ابناً تعلم الطاعة مما تألم به. وإذ كمل صار لجميع الذين يطيعونه سبب

خلاص أبدي. مدعواً من الله رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق» (عبرانيين ٥: ٧-١٠).

من منا يأخذ مسألة صراعنا مع الخطية بمنتهى الجدية لدرجة أنه يصارع بدموع وصراخ؟ هذا ما فعله الرب يسوع، فلم يصارع أحد مثلما صارع. لم يرد الشيطان قلباً مثلما أراد قلب يسوع، وبما أن يسوع صارع بجدية أكثر مما يصارع بها أي منا، فهو يفهم صراعنا، ولنا أن نثق في ذلك، ومع ذلك سيكون علينا دائماً أن نصارع. ولهذا، يعلن الرب يسوع أن من يريد أن يتبعه يجب أن يحمل صليبه كما حمل هو صليبه.

لا تعني التوبة تعذيب المرء لنفسه، ربما تقلب حياتنا رأساً على عقب بل في الواقع يجب أن تقلب حياتنا. وفي بعض الأحيان سنشعر كما لو كان الأساس كله قد اهتز من تحت حياتنا، ولكن عندئذ يجب ألا نرى كل شئ كأنه قاتم أو بلا رجاء؛ فدينونة الله هي صلاح الله، ولا يمكن أن تنفصل عن رحمته وحنانه. ويجب أن يكون هدفنا هو أن نزيل كل شئ يتعارض مع الله من قلوبنا حتى يمكنه أن يطهرنا ويأتي بنا إلى الحياة الجديدة، بمعنى أن يملأنا بالمسيح.

إنها لعطية رائعة أن يتوب إنسان توبة فعلية، فيتحول القلب الحجر

إلى قلب لحم، وتتغير كل العواطف والأفكار والمشاعر، وتتغير نظرة الإنسان بالكامل، لأن الله اقترب من تلك النفس. المؤسف أن الكثير من المؤمنين يقاومون التوبة والولادة الجديدة، وآخرين حتى لو لم يقاوموها لم يختبروا بركاتها لأنهم لم يطلبوها. ربما يدركون الخطية في حياتهم ولكن عند مستوى معين، ربما يصارعون عبثاً فينهزمون سنة وينتصرون أخرى، ولكن في النهاية يشعرون أنهم وقعوا في الشرك، عندئذ يشعرون أن خطيتهم صارت شيئاً طبيعياً وأن لا يمكن الانتصار على الضعف الإنساني ولهذا يتوقفون عند هذه المرحلة.

من ناحية أشعر بشفقة على مثل هؤلاء، ومن ناحية أخرى أشعر أن كل الأعذار التي يقدموها لا يمكن تبريرها. فلو أصررت أني خاطئ كبير وإن شككت في أن المسيح يمكن أن يساعدني فعلاً فأنا بهذا أعوق النعمة وأمنع الروح القدس من أن يدخل إلى قلبي لأني فعلياً أشك في نصرة القيامة، ويجب أن أرفض هذا الشك. على كل حال تكمن قوة المسيح في هذا، أنه حمل خطية العالم كله وغلب الموت (١يوحنا ٢: ٢).

المسيح دائماً موجود وكذلك الروح القدس، ولو صرخت أي نفس لله فسيستمع إليها، فلم يطلق المسيح على نفسه لقب المعزي عبثاً. ما من شخص لديه أحشاء رحمة وحنان نحو الخطاة مثل المسيح، وهو

يعدنا بأن «كل من يسأل يأخذ... ومن يقرع يفتح له». وهذه الوعود للجميع، ولا يمكنك أن تختبئ خلف خطاياك وتقول: «أنا ضعيف للغاية» أو «أريد أن أتغير ولكني لا أستطيع»، فحتماً هذه الأعذار ليس لها أي أساس.

نجد أن النعمة جزء من سر الولادة الثانية والحياة الجديدة، يُظْهِر حديث نقوديموس مع يسوع أن الولادة الجديدة شئ لا يمكن تفسيره ولكنها اختبار حقيقي. بالطبع نعرف أنها تعني تغيراً تاماً من الإنسان العتيق إلى الإنسان الجديد، ولكن يسوع لا يقدم أي تفسير منطقي أو إيضاح وإنما يقول ببساطة «ينبغي أن تولد من جديد». ويجب أن نؤمن أن الله يمنحنا حياة جديدة، فهذا هو دورنا.

النعمة عطية غامضة يمنحها المسيح لكل من يأتي إليه، فهي مفتاح الولادة الجديدة وباب التمتع بحياة جديدة تماماً، وهي لا تعتمد على الاستحقاق أو على الأعمال الصالحة ولكن يبدو أنها تُمنح لمن لا يستحقونها من وجهة النظر البشرية. يقول الرسول بولس: «لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب. الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته» (أفسس ١: ٦-٧).

«لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون. ولكن إن كنتم بالروح

تميتون أعمال الجسد فستحيون» (رومية ٨: ١٣). وهذه عبارة قوية للغاية، فمن يمكنه أن يدعى أن الجسد ليس له فيه شئ؟ ولكن الإجابة على هذا السؤال المحير واضحة إذ يجب أن ننفتح على قوة الروح ونتوب ونكرس أنفسنا للمسيح.

عندما نكون مستعدين بكل كياننا أن نعطيه كل شئ ونقول: «يا ربي يسوع ها أنا ملكك، ها أنا ملكك مهما كان الثمن»، سنحصل على ضمان أن الخطية لن تنتصر علينا، حتى إذا استمر صراعنا مع ضعف معين حتى يوم مماتنا. فالكتاب المقدس يعلن بوضوح «إذاً لا شئ من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح. لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد اعتقني من ناموس الخطية والموت» (رومية ٨: ١، ٢).

١٥
الشـــفاء

رأينا كيف أنه في صراعنا ضد الخطية عادة ما يقيدنا الشرير، فحتى عندما نفعل ما نعتقد أنه الصواب فإن قوة الإيحاء والإيحاء الذاتي تزيد من حدة الصراع وتتسبب في اضطرابنا وتضعف تصميمنا، وأحياناً تسيطر علينا وتغرس فينا الشعور بأنه لا جدوى ولا معونة على الإطلاق. تستخدم كلمة Geisteskrank في الألمانية والتي تعني «مريض الروح» في وصف هذه الحالة.

يحتاج الشفاء من مثل هذا المرض الذي أصاب الروح إلى وقت مثله مثل الشفاء من أي مرض آخر. فهناك حاجة للعلاج، وفي هذه الحالة تعد التغذية الروحية والتغذية الداخلية وإرشاد الآخرين هي العلاج، وبالطبع فإن كل هذا بالاتكال على يسوع.

عندما كنت في الثالثة عشر من عمري زرت قلعة فارتبورج التي تبعد ما يقرب من خمسين ميلاً من منزلي في وسط ألمانيا. وأراني أبواي المكتب الذي ترجم فيه مارتن لوثر الكتاب المقدس إلى الألمانية،

ورأيت هناك بقعة حبر كبيرة على الحائط. أخبروني أن الشيطان كان يجرب مارتن لوثر فقذف لوثر بالحبر في وجهه لكي يخيفه. تأثرت في هذا الوقت وتركت الحجرة وفي داخلي اقتناع صبي صغير بأن هذا هو الأسلوب الحقيقي الذي يطرد به الإنسان الشيطان. واليوم أعرف أن كل آبار الحبر في العالم لا يمكن أن تفعل شيئاً في مواجهة الشرير. فلو كان هذا أسلوباً ناجحاً لتحولت الحرب ضد الخطية في القلب البشري ببساطة إلى استعراض للإرادة في الوقت والمكان المناسب، ولكن لم ينجح قط.

الرب يسوع وحده هو القادر أن يشفينا ويعطينا قلب جديد، فقد جاء لكي يستردنا بدمه. ويستطيع كل قلب مهما كان معذباً أن يجد فيه الراحة والشفاء. كتب والدي في مقال بعنوان «الضمير واسترداد الصحة»:

يسوع هو الطريق إلى الله، فلا إله كأبينا يسوع، وأينما طلبناه سنجده في يسوع، وإن لم نتحرر في يسوع من كل أثقالنا، فسنحاول عبثاً الاقتراب من الآب الذي يقترب منا كما يقترب بالرب يسوع. وبدون غفران خطايا لن ندخل إلى الله، ذلك الغفران الذي يمنحنا إياه الرب يسوع بتقدمة حياته وجسده ونفسه ودمه.

عندئذ يصمت المشتكي علينا ولن يسمح للضمير أيضاً أن يتهمنا.

دم الرب يسوع محا دم الأخ المقتول هابيل، إذ تحدث دمه بصوت أعلى من صوت دم هابيل، ففيه وُجد ممثل وقائد جديد يغفر ويحرر. فرغم أن أخانا البكر قُتل مثل هابيل إلا أنه لم يفتح فاه مع من قتلوه لأنه كان إنساناً مثلهم بلا خطية. ولو أن ابن الإنسان جاء لأجلنا فلا يمكن أن يديننا أحد. من الآن فصاعداً لن يستطيع أي سلطان أن يمنعنا من الاقتراب من الله. هذه العبارة الأخيرة الخاصة بالاقتراب من الله هامة للغاية، فهي تتحدث عن التصرفات التي يجب أن نتخذها إن أردنا أن نجد الشفاء، فبالنسبة للبعض قد تعني البحث في صلاة صامتة وبأيدٍ مرفوعة وللبعض الآخر فهي تعني الركوض نحو الله باشتياق من كل القلب. ولكنها بالطبع لا تعني أن نجلس هنا منتظرين أن يأتي الرب يسوع ويشفينا بلمسة سحرية! يجب أن يكون لدينا قلب يتوقع.

إن ذلك الروح الحي الذي نفخه الله في الإنسان عند بداية الخليقة تبقى في كل واحد منا طالما أننا نسعى للاقتراب منه ومن أخوتنا البشر، فقط إن أتممنا وصاياه التي تعطي معنى لهذه العلاقات: أولاً: «تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك...

تحب قريبك كنفسك» (متى ٢٢: ٣٧ ، ٣٩).

من الجوانب الأساسية في الشفاء بعد الصراع مع الظلمة الموقف الذي نتخذه تجاه أنفسنا، فالاتجاه الذي نتخذه نحو التقلبات في تخيلاتنا على سبيل المثال يمكن أن يؤثر على مظهرنا من الناحية النفسية. فمن الواضح أن الشخص العنيف أي الشخص الحاسم والنشيط في الدفاع عما يجب أن يدافع عنه سيكون متأكداً من النصرة أكثر من الشخص الذي يشعر بالجبن نتيجة للخوف أو الرغبة في حماية نفسه بنفسه.

الضمير هو الذي يشتكي علينا عادة كما أشار والدي في هذا الجزء المذكور عاليه. ولكن بمجرد أن نزيل عن أنفسنا الحمل ونبتعد عن الخطية فصوته لا بد وأن يمهد لصوت المحبة أي لصوت الرب يسوع. ولهذا، يحذرنا تولستوي: «إن كنا نطلب المنطق في المحبة فإننا بهذا ندمرها». بمعنى أننا إذا رغبنا في شفاء الإرادة يجب أن نكون حذرين للغاية حتى لا نحلل كل مشاعر تدور في أذهاننا وندمر الحرية التي تستيقظ في داخلنا.

من غير المجدي أن نصاب بالقلق الذي لا ينتهي نحو قلوبنا الصغيرة وما يدور فيها وشخصياتنا الضعيفة، فلا أحد نقي وصالح إلا الرب يسوع، فهو وحده الذي يملك الشخصية الصحيحة تماماً. دعونا نتجاهل

تجربة قايين الذي شعر بالغيرة من اقتراب أخيه من الله، ولنصبح مثل الأطفال الصغار ونجد الفرح في بساطة انتمائنا للرب يسوع.

عندما تستمر في داخلنا مشاعر عدم الثقة بعد تلك النصرة المبدئية على الخطية في قلوبنا، فربما يكون هذا علامة على أننا لم نؤمن بالدرجة العميقة الكافية. يكتب بولس أنه لو كنا نحب محبة كاملة فإننا سنفهم تماماً مثلما نفهم (١كورنثوس ١٣: ٨-١٢). وكلمات يوحنا هامة أيضاً فقد أحبنا الله قبلما نحبه (١يوحنا ٤: ١٩)، وهذا ما يجب أن تعتنقه قلوبنا الصغيرة، وهذا ما يجب أن نؤمن به، محبة القلب الأعظم الذي يفهمنا فهماً كاملاً.

من واقع خبرتي أعرف أن الطريق إلى الشفاء طويل، وفي مرحلة أو أخرى سيكون علينا تحمل مشاعر خيبة الأمل والفشل. في بعض الأحيان سيحدث هذا عندما نرجع لنسقط في خطية نفزع منها للغاية أو خطية كنا متأكدين أننا انتصرنا عليها. ولكن رغم اليأس الذي قد يصيبنا بعد ذلك يجب ألا نفقد ثقتنا لأن «الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحاً يكمل إلى يوم يسوع المسيح» (فيلبي ١: ٦).

رغم أن الألم الرهيب ومشاعر الوحدة التي لابد أن اختبرها المسيح بينما كان معلقاً على الصليب يصعب تخيلها، نجده يصرخ وقتها قائلاً:

«يا أبي في يديك أستودع روحي». وهنا نجد تتويجاً للإيمان، إذ لم تستطع مشاعر المعاناة لشخص متروك من الله أن تزحزح إيمانه في أبيه وأبينا، فقد سلم روحه إلى يدي الله.

إذا أردنا أن نشفى من الجراح التي تسببت فيها مكائد الشيطان وسهامه، يجب أن نجد الثقة نفسها في الله. لهذا، فحتى إن لم نشعر بشئ، نجد أننا قادرون أن نسلم أنفسنا له وبدون تحفظ بل نسلم له كل ما نملك، وبالطبع كل ما نملك هو الخطية. ولكن إن وضعناها أمامه مثل الأطفال فسيعطينا الغفران والتطهير وسلام القلب، وهذا كله سيقودنا إلى المحبة االفائقة الوصف.

١٦
التنقيـــة

اختبرنا لتونا التوبة والولادة الثانية الحقيقية، والضمير الصالح، والقلب النقي باعتبارها حقائق حية والفرح والتبكيت اللذان تأتي بهما هذه الحقائق وقد يَسْتَمِرًّا لعدة أيام، ومع ذلك يستمر الصراع بالنسبة لكثيرين إذ قد تظهر صراعات جديدة رغم أنها ربما تكون أقل حدة. فمع أننا قد لا نرجع إلى عاداتنا الخاطئة القديمة إلا أننا عندما نواجه هذه الحقيقة نشعر بالعجز عن التكلم عن النقاوة بثقة. لا عجب أن مؤمنين كثيرين يتخلون ببساطة عن الإيمان باحتمال وجود شفاء حقيقي وقلب نقي.

هل النقاوة هدف عملي أم مجرد مُثل رائعة؟ في صراعي للإجابة عن هذا السؤال الهام لعدة سنوات وجدت نفسي أرجع إلى الشخص الذي دعانا لكي يكون لنا قلب نقي في المقام الأول. إن كان الرب يسوع وهو الإنسان الوحيد الذي سار على الأرض بلا خطية صارع مع التجربة فكم سيكون متفهماً لسقطاتنا! ولكنه ما يزال يطلب منا

«كونوا كاملين» ويخبرنا أن أنقياء القلب هم فقط من يعاينون الله.

يخبرنا الكاتب السويدي سالما ليجيرلوف بقصة فارس أوقد شمعة في قبر الرب يسوع في أحد المؤتمرات وأقسم أنه سيعود بهذه الشعلة دون أن تنطفئ لبلده في إيطاليا. ورغم أن هذا الفارس تعرض للسرقة على يد قطاع الطرق وكل مأساة وخطر في رحلته إلا أنه كان مصمماً على شئ واحد فقط ألا وهو أن يحافظ على هذه الشعلة الصغيرة ويحميها. وفي نهاية القصة نرى كيف أن التكريس الممكن غير هذا الفارس تغييراً تاماً فقد رحل عن بلدته كمحارب وقادر على أن يؤتي أسوأ الأفعال إلا أنه رجع شخصاً جديداً.

إن وضعنا في قلوبنا شيئاً واحداً فقط مثلما فعل هذا الفارس يمكننا نحن أيضاً أن نتغير «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو. وكل من عنده هذا الرجاء به يطهر نفسه كما هو طاهر» (١يوحنا ٣: ٢ ـ ٣). ولكن طالما أننا منقسمون فسنبقى ضعفاء ومتراخين وعاجزين عن قبول إرادة الله بل غير قادرين على اتخاذ قرارات هامة أو أفعال قوية؛ فنقاوة القلب ليست سوى الاستقامة الكاملة المطلوبة للتغلب على الرغبات الضعيفة.

قبل أن نرفض فكرة «الاستقامة الكاملة» باعتبارها أمراً مثالياً مستحيلاً، دعونا نلقي نظرة على ما يقوله الرسول بولس عن التطهير، فهو يؤكد أننا سنواجه صعاباً وعوائق فكرية وأننا سنكون دائماً عرضة للتجربة، ومع هذا يصف حربنا ضد الشرير بأنها حرب منتصرة إذ يقول «مستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح» (٢كورنثوس ١٠: ٥). أكرر مرة أخرى، قد لا نحصل على النصرة بسهولة. يجب أن نواجه حقيقة أن الصراع حرب بدأت منذ سقوط الإنسان، وأنه منذ القيامة وحلول الروح القدس في يوم الخمسين أصبحت تلك الحرب شرسة. ولكن الحقيقة الرائعة التي نراها في كلمات بولس هي تأكده من أنه يمكننا أن نستأسر كل فكر لطاعة المسيح.

في كتاب إيكهارت «عن الانفصال الداخلي» يخبرنا كيف أن القلب النقي يمكن أن يتحول إلى حقيقة لكل واحد منا:

إن كان الله سيدخل فيك أنت المخلوق فيجب على الطبيعة البشرية أن تخرج منك، لأنه عندما تنتهي هذه الطبيعة يبدأ الله.

لا يريد الله منك سوى أن تخرج من نفسك. فبما أنك مثقل بطبيعتك البشرية فاسمح لله أن يكون إلهاً داخلك. إن أبسط صورة لديك عن كيانك هو أنه كبير مثل الله، وهذا ما يبعدك عن الله الكامل، لدرجة

أن هذه الصورة تغلغلت فيك، لهذا يجب أن يخرج الله، ولكن عندما تخرج هذه الصورة يدخل الله.

تعد محبة المرء لنفسه أصل كل الشرور وسببها فتنتزع كل ما هو صالح وكل ما هو كامل. وبالتالي إن كانت النفس تريد أن تعرف الله، يجب أن تنسى ذاتها وتفقدها، لأنه طالما أنها ترى ذاتها فلن ترى الله ولن تعرفه. ولكن عندما تفقد ذاتها من أجل الله وتترك كل شئ، تجدها مرة أخرى في الله لأن الله يسكن فيها، عندئذ فقط تعرف النفس طبيعتها وكل الأشياء في الله.

كل شخص يسمح بترك تلك الأشياء التافهة سيمتلكها بطبيعتها الأبدية النقية، فمن سمح لها بالخروج في طبيعتها الوضيعة التي هو مسئول عنها سيقبلها مرة أخرى في الله حيث سيجد طبيعة هذه الأشياء فيه.

إنها علامة لا يمكن أن نتجاهلها على نور النعمة عندما يتحول شخص ما بإرادته الحرة بعيداً عن تلك الأمور الزائلة ليتجه نحو الصلاح الأسمى أي الله، فلن تطلب النفس ما هو خارجها لأنها تعرف أن الروح القدس يعرفها الأمور التي تقود إلى حصولها على البركات، فتحاول أن تفعل كل عملها كاملاً بقدر الإمكان ليتماشى مع إرادة الله،

وستبذل قصارى جهدها دائماً لكي يكون لها ضمير صالح بأن تزدري بالأفعال الدنيوية والمحبة العالمية التي تؤدي إلى الألم حتى تتزايد النعمة فيها وتتناقص الرغبة الشريرة للجسد.

عندما يسمع الناس كلمة «جسد»، يميلون أن يفكروا في الحال في الجنس أو ربما في تناول الطعام أو الشراب الزائد عن الحد. ولكن ليس هذا هو المعنى الوحيد للكلمة، في الواقع إن الخطايا الجنسية هي من الجسد وكذلك البر الذاتي والرياء وكل شئ آخر فينا من الذات، كل شئ ليس من المسيح. فالتطهير يعني أن تطلب من الله مرة ومرات المعونة للتغلب على الجسد وبصفة خاصة على الكبرياء الروحي. والكبرياء هو أسوأ شكل من أشكال الجسد، لأنه لا يترك مكاناً في القلب لله.

يجب أن تعترف نظرتنا الصادقة لأنفسنا بكل اتضاع أن كلاً منا يحتاج يومياً إلى غفران الله. إن ضعفنا البشري ليس عائقاً أمام ملكوت الله طالما أننا لا نستخدمه كمبرر لارتكاب الخطايا. يكتب الرسول بولس: «تكفيك نعمتي لأن قوتي في ضعفك تكمل» (٢كورنثوس ١٢: ٧-٩).

أخيراً، يعتمد التطهير على استعدادنا لتكريس حياتنا لله. وعندما نعثر أو نسقط نقوم ونكرس أنفسنا من جديد. لن نكون كاملين أبداً

ولكننا سنظل دائماً مركزين على هدفنا وسنبذل أقصى جهد لكي نحقق هذا الهدف:

«ليس أني نلت أو صرت كاملاً ولكني أسعى لعلي أدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع. أيها الأخوة أنا لست أحسب نفسي أني قد أدركت ولكني أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء وامتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع» (فيلبي ٣: ١٢-١٤).

١٧

الصـــــليب

كان اهتمامي الأول في كل ما ذكرته حتى الآن عن الصراع مع الأفكار والمشاعر الشريرة هو أن أقود القارئ إلى المسيح والصليب، فيجب أن يجد كل منا الصليب. يمكننا أن نجوب العالم كله بحثاً ولكننا لن نجد غفران الخطايا والحرية من العذاب إلا في هذا المكان.

يعرف كل مؤمن أن المسيح ذهب إلى الصليب من أجلنا ولكن المعرفة فقط لا تكفي، فإن لم نشأ أن نموت لأجله كما مات لأجلنا فستكون آلامه بلا فائدة. طريق المسيح طريق مرير، وقد انتهى في نصرة النور والحياة، ولكنه بدأ طريقه في مزود رطب للحيوانات واجتاز معاناة هائلة وإنكاراً وخيانة وفي النهاية مات على الصليب. إن كنا ندعو أنفسنا أتباع يسوع فيجب أن نسير الدرب نفسه.

مات يسوع على الصليب لكي يكسر لعنة الشر ويقهرها مرة واحدة وإلى الأبد. إن لم نؤمن بقوة الشر لا يمكننا أن نفهم هذا، وإلى أن ندرك أن السبب الرئيسي وراء مجيء المسيح إلى الأرض هو أن يفعل

هذا نيابة عنا ويحررنا من قوى الظلمة فلن ندرك بالمرة مدى احتياجنا للصليب.

إن صورة المخلص اللطيف العذب التي نعتنقها عن الله الكلي المحبة فكرة رائعة ولكنها ليست سوى جزء صغير من الصورة. المسيح يعزي ويشفي ويخلص ويغفر، نعلم هذا جميعاً ولكن يجب ألا ننسى أنه يدين أيضاً، فإن كنا نحبه فعلاً سنحب كل شئ فيه، لا تحننه ورحمته فحسب بل صرامته أيضاً، فهذه الصرامة هي التي تنقي وتهذب.

إن محبة المسيح ليست مثل مشاعر المحبة الإنسانية ولكنها نار آكلة تطهر وتنقي، فهذه المحبة تطلب التضحية بالذات، كتب أبي:

لا يمكن أن تهزم العالم إلا بالبذل ولا يمكن أن تغلب الشيطان إلا بالحمل يسوع؛ فهو الذبيحة الكاملة الذي انتصر على الشر. ففي محبة الخروف الباذلة ظفر يسوع بالشرير، وجرد الشيطان ونزع منه أسلحته على الصليب. وهكذا فمن المستحيل أن ينجح الشيطان بأدوات الظلمة والموت ضد أي شخص يؤمن بالمسيح المصلوب.

نرى هنا أننا لو صرنا أحراراً في المسيح، يجب أن نكون واحداً مع المسيح المصلوب، فصليبه هو المركز ودولاب الفخاري للصراع بين

الله والشيطان. ولهذا يجب أن يكون الصليب محفوراً في قلوبنا أيضاً، فالنصرة في الصليب وحده! والنقاوة في الصليب وحده! فعلى الصليب هُزمت أجناد الشر وعلى الصليب امتدت محبة المسيح لكل كيان بشري للأبد وعلى الصليب أعطانا المسيح السلام.

إن لم تنبض الحياة في تلك الحقائق في قلوبنا، وإن لم تنغرس في أعماق قلوبنا بطريقة شخصية وتملك على كل كياننا فستظل مجرد كلمات جوفاء. يعرض يسوع أن يقدم نفسه لكل منا لدرجة أن نصبح جسداً ودماً واحداً معه، وهذه ليست فلسفة ولكنها غذاء حقيقي. هذه هي الحياة الحقيقية وستغير كل شئ في حياة من يختبرها ولن يحدث هذا الآن فقط ولكنه سيمتد إلى الأبدية.

عندما نعرف يسوع في أعماق قلوبنا سندرك ما جاز فيه لأجلنا. وكما رأينا فهذا يعني أن نسلم أنفسنا له في الصلاة ونعترف بالخطايا لبعضنا البعض والركوع أمام الصليب بروح التوبة. عندئذ سيقبلنا ويصالحنا مع الله ويهبنا الضمير الصالح والقلب النقي. وعندما ينجينا من الموت الداخلي ويمنحنا الحياة الجديدة ستملأ محبته العظيمة قلوبنا.

بالطبع لا يمكن أن ينتهي الأمر عند هذا الحد، فرغم أهمية اختبار التطهير الشخصي في الصليب، ولكن عندما نركز على هذا الأمر

وحده فلن يكون مجدياً، فمحبة المسيح عظيمة للغاية ويجب أن ترقي بأذهاننا فوق الصراعات الصغيرة وأي انشغال بخلاصنا حتى نرى احتياجات الآخرين وفيما وراءها عظمة الله وخليقته. إن قوة الصليب أعظم بكثير من قوتنا، فهو قادر أن يغرق الأرض كلها ويغطي ما هو أكثر من هذه الأرض!

هناك أسرار لا يعرفها سوى الله، وربما يكون صليب الجلجثة أعظم تلك الأسرار. يتحدث الرسول بولس في رسالته إلى كولوسي ١: ١٩-٢٠ عن سر الصليب ويقول إن ما يسر الله هو أن ندع طبيعته الكاملة تسكن في المسيح وأن يصالح نفسه مع كل شئ على الأرض وفي السماء بسفك الدم على الصليب. في الصليب ستتصالح لا الأرض فقط بل السماء وكل القوات وسلاطين الملائكة مع الله. بالطبع لن نفهم هذا تماماً وربما أيضا لا تفهمه الملائكة ولكن شيئاً واحداً نعرفه ألا وهو أن المسيح هزم الموت، وهو العدو الأخير، وبهذه الهزيمة حدث شئ ما امتدت قوته فيما وراء حدود كوكبنا.

١٨
الحياة لأجل الملكوت

بالتأكيد لا يمكننا أن نفعل أي شئ صالح بدون المسيح رغم إرادتنا القوية ونوايانا الحسنة؛ فكما أن الغصن لا يمكن أن يحمل ثماراً إلا عندما يكون متصلاً بالساق الحية، لا يمكننا أن نحيا نحن أيضاً حياة مثمرة إلا إذا كنا مرتبطين بالكرام أي يسوع، ولكن يسوع لا يكتفي بأن نكون ملتصقين به فحسب.

حقاً رأينا أنه من المستحيل إدراك الأهمية الشاملة للفداء وكذلك الصليب دون أن نختبر الرب يسوع نفسه في قلوبنا، ولكن إن أرضينا أنفسنا بعبادتنا الشخصية للرب يسوع، ولم ندرك الصورة الأعظم لخطته لهذا الكون فقد جعلنا من مسيحنا مسيحاً صغيراً للغاية.

أعتقد أنه لا يكفي مجرد الاعتراف بالمسيح ومحبته في قلوبنا أو كمخلص يعطينا شركة أبدية مع الله. بالتأكيد يريد الله أن يملأنا بما

هو أكثر بكثير من هذا يريد أن يمنحنا رؤية ملكوت أبيه العظيم. لا يكفي أن نتغلب على الخطية ثم نجلس متراخين شاعرين أننا قد انتصرنا في حربنا الصغيرة، فربما أكون أكثر البشر تقوى في العالم ولكن لو افتقرت إلى المحبة والاهتمام بالآخرين فإن قلبي ليس نقياً. وإن سمحت لقريبي أن يمضي جائعاً وأنا شبعان، فلم أغلب الخطية التي في حياتي. يريدنا الرب يسوع أن نعاني من الظلم والإحتياج اللذان يملآن العالم معه وأن نعطش ونجوع للبر لأجل كل الناس وأن نشهد لسبل محبته وعدله وسلامه وأن نحارب من أجل بناء المدينة على جبل قدسه.

أكرر مرة أخرى أنه لا يمكن تحقيق أي من هذه الأمور إلا باختبار الولادة الثانية بطريقة شخصية. ولا شك أن كل شخص يأتي إلى المسيح تنكسر عنه قوة الخطية والظلمة في نفسه وهذه نصرة لملكوت الله. ولكن إن لم نتعد المستوى الشخصي لتلك المقابلة المغيرة مع يسوع فإننا بهذا نفقد عظمة دعوته. كتب أبي قائلاً:

هنا يموت اهتمام كثير من المؤمنين، فيطلب الناس تأكيداً مستمراً على هذه النعمة التي قبلوها بالفعل. كان بالأحرى أن يقولوا: «لقد

أعطاني الله هذا الاختبار الشخصي لكي يساعدني على أن أجد الوضوح فيما يتعلق بالمسيح وملكوت الله، فهذا الوضوح هو الذي جعل حياتي جزءاً من ملكوته».

ربما لهذا السبب يخبروننا أن نطلب ملكوت الله وبره أولاً، حتى لا نكون مستحقين البركات على المستوى الشخصي وحسب ولكن لكي نكون محاربين من أجل ملكوته. دعونا نحيا متوقعين مجيء الرب! إن لم ننتظره في كل مجال من مجالات حياتنا، فنحن بهذا لا ننتظره على الإطلاق. أسأل نفسي كل يوم: هل لدي الرجاء الكافي هل أحارب بالدرجة الكافية، هل لدي محبة كافية؟ يجب أن تقودنا انتظاراتنا لمجئ الملكوت إلى أفعال.

في نهاية الموعظة على الجبل يقول الرب يسوع. «فكل من يسمع أقوالي هذه ويعمل بها أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر». عندما نفعل مشيئة الله نبرهن على أن هذه إرادتنا العميقة. لا يهم مدى اضطراب مشاعرنا إذ يجب أن تظل أشواق قلوبنا ثابتة.

يا له من أمر عظيم أن نحيا لأجل ملكوت الله! لا تتراجع، أدعوك

أن تحيا لاجل الملكوت وتبحث عنه وستجد أنه سيغمرك بقوة وسيحل كل مشكلة في حياتك، وكل مشكلة على الأرض، وسيصبح كل شئ جديداً، وكل شخص سيحب الآخر في المسيح، وستتغلب على كل انقسام وخطية وكل معاناة وظلمة وموت، وستملك المحبة وحدها.

عــن الكــاتـــب

عندما كان جوان هنريك أرنولد (١٩١٣ ـ ١٩٨٢) في السادسة من عمره ترك والداه إيبرهارد وإيمي منزلهما الذي كان من منازل الطبقة الراقية في برلين وانتقلوا جميعاً إلى سانرز وهي قرية في وسط ألمانيا حيث استقروا لكي يحيوا في شركة كاملة مع مجموعة من أصدقائهم بكل ما يملكون بناءً على ما ورد في سفر أعمال الرسل ٢ ، ٤ وما ورد على الموعظة على الجبل. كان هذا وقت ثورة هائلة، فقد أدت فترة الاضطرابات التي تلت الحرب التي ساقت والده الكاتب المعروف واللاهوتي والمتحدث العام إلى قفزة في الإيمان اقتادت الآلاف إلى مناهضة الاتفاقيات الدينية والاجتماعية الصارمة لهذه الفترة، وطلب أساليب حياة جديدة. كانت هذه هي السنوات المفضلة لأرنولد، وقد أثر التدفق المستمر للفوضويين والمعلمين والفنانين والمفكرين الأحرار الذين انضموا إلى المجتمع الصغير تأثيراً عميقاً. فقد هجر كل منهم رياء العالم المسيحي وقد شعر كثيرون بأنهم منجذبون للتكريس والفرح الذي وجدوه في هذه القرية.

شعر أرنولد نفسه بدعوة لتبعية المسيح في سن الحادية عشر. وفي

وقت لاحق عندما أصبح شاباً كرس نفسه لعضوية مدى الحياة في مجتمع الكنيسة الذي كان معروفا في هذا الوقت بالبرادوراف، أو مكان الأخوة. وفي عام ١٩٣٨ رُسم «خادماً للكلمة» ومنذ عام ١٩٦٢ حتى موته خدم كشيخ في حركة البرادوراف.

لا يمكن أن نطلق على المجموعة التي يرعاها آرنولد لقب كنيسة تقليدية. كان أرنولد راعياً بمعنى الكمة، لم يتمتع بشخصية كاريزماتية ولم يحصل على تدريب لاهوتي رسمي، ولكنه كان قائداً روحي اهتم بالحالة الخارجية والداخلية للاجتماعات التي تَوَلَّى مسئوليتها، وخدم أخوته وأخواته في المقام الأول على أساس أنه يشاركهم حياتهم اليومية في العمل والمتعة والواجبات المشتركة واجتماعات العمل والخدمات التعبدية.

دعى أرنولد لكي يتعامل مع كل جانب من جوانب الحياة الروحية والشخصية والجماعية، وكان هناك خيط مرئي واضح ومشترك في كل كتاباته: المسيح وصليبه هو مركز الكون. دأب يؤكد مرات ومرات على أنه بدون أن يتقابل الإنسان مع المسيح بصفة شخصية وبدون أن تكون رسالة التوبة والمحبة تحدياً لحياته، فلن يكون هناك أي احتمال لوجود إيمان مسيحي حي.

عندما وضع أرنولد المسيح في الوسط، أتاح هذا له شجاعة غير عادية لمواجهة الخطية فلم يكن أبداً ليتسامح مع اللامبالاة تجاه متطلبات الإنجيل. ولكن كما حارب الشر في الآخرين حاربه في نفسه ولم توجه هذه الحرب ضد شخص ولكن ضد الخطية. في بعض الأحيان كان هذا يعني أنه يتعرض لنقد بأنه عاطفي.

دعى أرنولد في بعض الأحيان للتوبة بكل جدية: «هل نحن مستعدون لكي نجعل كلمة المسيح تصل إلى أعماقنا أم أننا سنحمي أنفسنا ونقسي قلوبنا ضدها؟ لا ندرك كم نقف في طريق الله، ولكن يمكننا أن نطلب منه أن يمزقنا بكلمته حتى ولو كان هذا سيؤلمنا». وبالقدر نفسه من الإصرار الذي نادى به لأجل التوبة دعى إلى الغفران والرأفة، فلو أن شخصاً ما أخذ بجدية وصية يسوع بالغفران حتى يُغفر لنا وأن نغفر سبعين مرة سبع مرات فإن هذا الشخص هو أرنولد.

قضى أرنولد بصفته خادماً لكنيسة البرادوراف العديد من الساعات في قراءة سيل الرسائل اليومية وإعادة قراءتها بروح الصلاة. وتوضح ردوده روح التواضع التي تحلى بها. عندما كان أحد يوجه له سؤالاً كان يستشير ويواجه ويوضح ويصمم بحزم، لكنه لم ينتقد قط من سأله أو يقلل من شأنه. ورغم مجيء مئات الناس إليه عاماً تلو الآخر فإنه

كان يتجه للداخل فيما وراء انشغالهم بخطاياهم وقداستهم الشخصية إذ كان يوجههم للمسيح.

عرف أرنولد جيداً أنه لا يملك كل الإجابات. كثيراً ما كان يقول إنه يحتاج بعض الوقت ليفكر في الأمر أو يرغب في أن يصلي لأجل أمر ما أو أنه ببساطة لا يعرف ما يجب أن يفعله حيال هذا الأمر. وعندما كان يطلب منه أن يفسر ويشرح آية صعبة أو تناقضاً واضحاً أو معنى في نص غريب في الكتاب المقدس، كان يقول: «فكرت في هذه الكلمات كثيراً ولكني لم أفهمها جيداً، دعونا نترك الأمر لله، ففي يوم ما سيعلنه لنا». لم يكن يحاول أن يفسر الأمر بنفسه، ورغم القراءات الكثيرة سواء في العهد القديم أو الجديد فإنه كان رجلاً تعلم من القلب وحصل على المعرفة من النفس الإنسانية وحصل على فهمه لطرق الله مع محبته لله وليسوع وللكنيسة.

والأهم من هذا أن أرنولد كان مستمعاً جيداً؛ فقد استمع لأخوته وأخواته واستمع لأصدقائه وللنقاد ولله. كان يقول «أود أن استمع بقلبي الداخلي لصوت الله يتحدث من خلال الأخوة. أود أن أعترف بالرب يسوع في الوقت الذي نمضيه معاً. أود أن أكون مسكيناً، مسكيناً بالروح، وأود أن أطيع وأذهب حيثما ترسلني الكنيسة وأفعل إرادة الله».

الغـــلاف

كتيب رائع ـ ريتشارد فوستر

يقدم كتاب «حرية من الأفكار الخاطئة» وهو كتاب حافل بأفكار حول الصراع العالمي المعروف، يقود جي هنريك أرنولد القارئ من الإحباط والشعور بالذنب والشك إلى الحياة بحرية وفرح مسترشداً بكلمات الرب يسوع وسنوات خبرته في خدمة المشورة.

أحد الناشرين

كتيب مختصر ومباشر ومن القلب يبدو أن أرنولد يحذر من الميول الموجهة نحو الذات وكذلك الميول العلاجية ليومنا الحاضر إذ يقول «يجب أن يكون الهدف دائماً هو التحرير؛ نريد أن نجد الرب يسوع لا أنفسنا»

هنري. جي. أم نومان

تمتلئ كتابات أرنولد بالمحبة، فتأصله في السيد المسيح جعله مرشداً حكيماً وناصحاً أميناً لرحلتنا الروحية.

أي جلين هينسون. لاهوتي معمداني

أنه يذكرني بكتاب كليكجارتس العظيم «نقاوة القلب». فكلاهما يدفعك لكي فحص أعماق حياتك.

هاورد أر ماكي. جامعة جورج فوكس

أنه محب وحساس، فأرنولد يجعل قراءه يشعرون بأن هناك من يشجعهم لا من يدينهم. هذا الكتيب مثال حي للحكمة العملية التي تستحق أن نقرأها ونتأمل فيها ونحترمها.

دالاس ويلارد، مؤلف كتاب «روح التلاميذ»

يأتي بنا أرنولد نحو حرية الاتحاد بالمسيح من خلال حكمة حقيقية عميقة.